

تفسير الوداع

رواية

عبد الكريم

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧

Beyond.dbh@gmail.com

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها. ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

الكتاب: تميمة وداع

المؤلف: مي الكردي

الطبعة: الأولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: عبير محمد

التدقيق اللغوي: سكون لخدمات الكتب

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي

رقم الإيداع: ٢٣١٩٨ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٤٥-٣٣-٢

دار (بيوند) للنشر والتوزيع

المدير العام

صبرينة غلمي

رئيس مجلس الإدارة

محمد عز الدين

المدير التنفيذي

جلال عز الدين

إهداء

إليه أهدي كلماتي، فهو من منحني ثقتي بنفسي فتجذرت بيقيني الذي لا ينفك إلى شكٍ أو زعزعة أبدًا، إلى من أرهقني رحيله وظلت نفسي حبيسة الألم والوجع، ما إن هلّ طيفك على ذاكرتي، وإن لطيفك خلودًا في العقل والقلب، إلى روح والدي الطاهرة، ذلك الرجل الذي كان جاهد دومًا أن يجعلني الأولى، وهكذا كنت في عينيه، أحبك جدًّا وسأظل أرى فيك كل الرجال مجتمعين عند مبادئك التي أورثتني إياها.

إليك والدي أكتب دوما.

إلى من وقفت بجواري وشجعتني وشدت من أذري، إلى من ساندتني دائما ولم تمل إسداء النصائح لي، إلى القلب الحنون والخوف الدائم والحب بدون قيد أو شرط .

إلى أمي العزيزة

إلى مجهولٍ ما زلت لم ألتقيه، إلى حكاية لم أحياها، إلى حياة أرومها في عالم آخر، إلى مصدر إلهامي، إلى المحنة والوجع، إلى الانهيارات والأزمات، التي شكلت وجداني، فحركت الحس بدواخلي، ولبى القلم نداء الثورة، إلى كلماتي التي أؤمن بها وأتمناها أن تؤمن هي بي فتنقلني في ذات يوم إلى حيث هناك، حيث تلك الحياة التي أتوقها وأتمناها.

إليه هو، من تسيد وتملك الحروف، من احتل جدران، الصداقة وأروقة الكلمات، من امتلك زمام اللغة وسافرت أبجدياته لتعبر حدود القلب والعقل، إلى من قاد ليعلم، إلى معلم لم يسأم جدالي الدائم وأسألتي التي لا تنضب، إلى من أنار عشقي للكلمات، وأحيا بداخلي انثى اللغة التي كانت اندثرت، فتزدهر وتنبور لتمهض من الرمال وتبدو بأبهى صورها .

إلى صديقي دائما ومعلمي متى حييت

الفصل الأول:

مرت ثلاثة أشهر على وجود بشرى بفيلا والدها بحي كفر عبده بالأسكندرية، كان أسر يأتي بانتظام ليطمئن عليها ويذهب معها لمواعيد الطبيب، اليوم موعدهم معه في الثامنة مساء، لم تكن تتحدث معه كثيرا، وكم كان هذا مؤلما، يحتل صدره ضيق قاس لا يفارقه، يكتنف عقله ضباب كثيف يعجزه حتى عن إطلاق الكلمات فكان ولاؤه للصمت دائما، استنشق نفسا عميقا فملاً صدره هواء الشتاء البارد الذي يحتل ليالي الإسكندرية، أقبلت عليه أخيرا تتحرك بصعوبة إثر انتفاخها فقد أصبحت في أول شهرها التاسع، ساعدها حتى ركبت بالسيارة، وانطلقا إلى عيادة الطبيب.

وصلا للعيادة الكائنة ببناية راقية لا تبعد كثيرا عن فيلا والدها، نزلت من السيارة بمفردها رافضة محاولة أسر لمساعدتها، فوقف قليلا يتعجب من عنادها، ترفض مساعدته، أوليست هي من كانت تتمرغ بأحضانها كالقطة الصغيرة؟

أدار عينيه عنها للحظة، وكم تفرق تلك اللحظة في الكثير والكثير، فلحظة قبل الخيانة، لحظة قبل الموت أو الميلاد، لحظة قبل كلمة قد تحيي أو تميت، لحظة قبل بث حب بروح أماتها الجراح فتحيا بالحب المبتوث، هي دائما لحظة واحدة فقط، وأيضا كانت هذه اللحظة قبل أن يسمع صرخة ألم أدمت قلبه.

اندفع إليها، ولحقها قبل أن تسقط أرضا وظن أنها تلد وأن هذه صرخة ألم المخاض، ولكنه شعر بسائل لزج يغرق يديه التي تحيط بها، فنظر جيدا ليد، فتساءل: هل هذه دماء؟! من أين جاءت؟! نظر حوله متألقتا لا

يدري كيف حدث ذلك، توالى صرخاتها وتشبثها به، فحملها وأدخلها السيارة منطلقا بها لأقرب مشفى، غير شاعر بنظرات المارين بالشارع ولا سامع تساؤلاتهم ولم ير حتى محاولات البعض لمساعدته لوضعها بالسيارة.

كم كان يخشى حدوث هذا، وها هو حدث على الرغم من اتخاذه كل الاحتياطات اللازمة، كم يلعن نفسه ويلعن يوم تعرضها لكل هذا.

كانت تئن طوال الطريق وتبكي متألمة وهو يمسك يدها التي تشد على يده من ألمها وتعود ترتخي مرة أخرى، دموعها كقطرات مائية باردة على صفيح ملتهب مرتعدة خائفة تصرخ بصوت يصم أذان قلبه.

صرخات ألمها المتوالية زادت رعبا، فجاهد ليتذكر ملامح الطريق، لم تساعده تلك العبرات التي تمركزت بمقلتيه تحرق قلبه وتحجب الرؤية.

فكر أن يقف بالسيارة جانبا ليطمئن عليها ولكن الوقت يصرعه ظل ينظر لها وينادي اسمها بلوعة يرجوها أن تظل معه وتحمل حتى يصل.

ولكن تتحمل ماذا؟ يطالبها وهي الرقيقة الهشة بتحمل طلقة نارية مكتومة الصوت لا يعرف حتى من أين أتت؟ زاد بالدعس مسرعا كالبرق يسابق قذائف السماء فيتفادى سيارة ويحتك بغيرها دون أن يبالي، ولم يقف في إثارة مرور واحدة، فأى نظام يلتمسه وقررة عينه بين الحياة والموت.

ها قد وصل لبوابة المشفى أخيرا بعد أن شعر بطول الرحلة وكأنه مسافر على الخطوط الجوية لمدغشقر، ترجل من السيارة وهو يحدثها قائلا:

- بشرى.. حبيبتي، تحدثي إليّ أرجوك.

دخل المشفى صارخاً:

- أريد المساعدة، زوجتي حامل وأصابها طلق ناري.

جاء إليه أكثر من طبيب وممرضات بسرير متحرك ووضعوها عليه وهي لا تقدر أن تتكلم من الألم فقط تشبثت بيده فطمأنها قائلاً:

- لا تخافي حبيبتي أنا هنا بجوارك، لا تخافي أبداً.

تمتمت ودموعها تسيل وجعاً:

- ابننا يا أسر ابننا.

أبعده الأطباء وأخذوها غرفة العمليات، ولم يتمكن من التحرك قيد أنملة.

كل ملابسه ويديه مليئة بدمائها جاءت له إحدى الممرضات قائلة:

- تفضل يا أستاذ الحمام من هنا كي تغسل الدم، إن شاء الله خير لا تقلق.

نظر للممرضة وكأنه لم يسمع شيئاً ولم يستجب حتى لدعوتها، شفتاه ملتصقتان من شدة الرهبة، فكررت الممرضة دعوتها فسار كما قالت له وغسل يده وخلع المعطف ومسح قميصه البني من آثار الدماء ثم خرج، وأخرج هاتفه واتصل بأمير أخيها قائلاً:

- نعم يا أمير، أنا.. أنا وبشرى في المستشفى.. لا ليست ولادة.. اااا.. أصابها طلق ناري.. لا بالطبع لست أمزح.. لا، لا أدري كيف حدث هذا.. حقاً لا أدري.. لقد وصلت المشفى بمعجزة.. نعم أسرع.. نعم هي المستشفى القريبة من عيادة الدكتور.. لم ألاحظ

الاسم.. انتظر.

سأل في الاستقبال عن اسم المشفى وأخبره أنها سيدي جابر التخصصي، وطلب منه أن يحضر بأقصى سرعة.

أغلق معه واتصل برقم آخر وقال فوراً ما إن سمع صوتها:

- نعم يا حيوانة.. ألا تدرين حقا ماذا حدث!.. لقد أصيبت بشرى بطلق ناري.. أقسم بربي يا رضوى لو عرفت أن لك يد بهذا الموضوع أو كنت تعلمين قبله ولم تخبريني فلن أكتف بموتك وقتها.

وأغلق الخط فوراً، فهو لا يدري ما الذي يتوجب عليه فعله، هل يقول ما يعلم؟ فإن قال ستكون كارثة ولن تسامحه هذه المرة أبداً، وكيف يقول وقد يتسبب ذلك بإيذاء أقرب الناس إليه.

عقله مشوش ويعجز عن أي تفكير كأنه دفن تحت أطنان من الثرى وتوقف عن العمل.

جاءت إليه الممرضة التي أخبرته بروتينية أنها تحتاج بياناته ومبلغ مالي بحساب المشفى، فأخبرها باسمه:

- أسر عبد العزيز.

وسألته عن اسم وزوجته:

- بشرى الشافعي.

أخبرته بأن يتوجه إلى خزينة المشفى، فحاول سؤالها عن حال زوجته والطفل المسكين بأحشائها، ولكنها لم ترو عطش قلبه للاطمئنان على حبيبته، فتركته كتائه بصحراء لا يجد بها ظلاً ولا ماء.

عاد أسر من قسم الحسابات فوجد والدها وأخيها، حتى اندفع إليه الأب قائلاً بحدة وهو يمسك بتلابيبه:

- تالله يا أسر إذا كان ما أفكر به صحيحا فلا أكتف بأن أزوج بكم جميعا بغيايات السجون، بل ولن أكتف.

فض أمير بينهما وهو يقول بذهول:

- ماذا تقول يا أبي، تسجن من وما ذنب أسر بما حدث؟!!

- اسأله.

قال أسر بعصبية وتوتر واضح من ارتعاش صوته وخلجاته:

- عمى أرجوك، أنت تعلم جيدا ماذا فعلت كي أحميها، تعلم ذلك جيدا، وأنا مثلك تماما لن أسمح لأحد بإلحاق الأذى بها هي وابني.

نظر له الأب شذرا، وابتعد جالسا على أقرب مقعد يسكنه توتره وأعصابه التي ضلت عن جسده فأصبح خاويا لا يشعر، كل ما يدركه الآن أن ابنته الحبيبة تواجه الموت وحدها، هو ليس بجانبها ليصد عنها، ليته هو من تلقى تلك الرصاصة وليست هي وطفلها الذي لم ير النور بعد، ولكنه لن يصمت بعد الآن يهون أي شيء طالما وصل الأمر لسلامتها والتربص بها بهذا الشكل الصريح، سيفعل أي شيء ليعيد هذا الخطر، أي شيء.

جلس أسر هو الآخر متهاككا على مقعد مسكين حمل همومه معه، انهالت عليه الذكريات كالجبل الجليدي تجثم فوق روحه، ينتظر خروج ابنه وزوجته الحبيبة بألم انتزاع قلبه من صدره بقبضة باردة حديدية تنغرس به دون أي شفقة أو رحمة، فرت دمعة قاسية مزقت جفونه وعافرت بقوة لتتحرر فنالت عقابها فورا حيث اغتالتها أصابعه، استند

بظهره على الحائط خلفه واستعادت ذاكرته كل ما حدث فالشهور
المضنية الفاتنة كسيل منهمر لا يتوقف، ليس بعقله فقط ولكن بعقل مراد
وأمير أيضا.

الفصل الثاني:

قبل ذلك بتسعة أشهر.

اندفعت بيسان تجري بين أروقة المشفى الخاص الكبير بعد أن سألت بالاستقبال عن غرفة نادر الشافعي، لا تريد أن تتخيل حالة ليلى الآن فمؤكد تحفر العبرات على وجهها الرقيق أخاديد نارية تحرق قلب أبيها وأخويها، عليها الاعتراف أن تسم طفلاً صغيراً بيوم عيد ميلاده شيء مفاجع، فمنذ أن هانفتها بشرى لتخبرها بما حدث وأعصابها كما أوتار الكمان التي يستلمها عازف الخوف البارع، وهذا ما أثار تعجبها، لم تكن تتخيل أنها سوف تغلق على نادر أو ينقبض قلبها خوفاً عليه بيوم من الأيام، لا بد أن يكون انهيار ليلى حتمياً ومؤلماً.

شعرت فجأة وكأنها ارتطمت بجدار نظرت أمامها فوجدت طبيب شاب قوي البنية يرتدي عويناته والمعطف الأبيض المميز، لم تنجح تلك العوينات في إخفاء عينيه الخضراوتين الساخطتين من جراء ارتطامهما ببعض مما أدى لسقوط هاتفه أرضاً، فالتقطه، وعاد ينظر إليها فاضطربت وتوترت دواخلها وهي تسمعه يقول بعصبية:

- انتبهى يا أنسة.

لا تدري لما خالجها كل هذا الارتباك أمام نظراته المنفحصة ولكنها تتمت بأنفاس منقطعة كادت تخترق صدرها فوضعت كفها عليه عليها تحكم تلك الأنفاس فلا تمزقه:

- أسفة.. أنا هنا من أجل أخي.. عنده حالة تسمم.. ولا أدري بأي غرفة هو.. ولا أدري كيف حاله الآن..

قاطعها وهو يهدئ من روعها ويجلسها على أقرب مقعد قائلاً:

- حسناً، حسناً، اهدئي فأنفاسك غير منتظمة وقد يتسبب لك كل هذا التوتر بدوار، اسمحي لي بقياس ضغطك؟

أومأت برأسها إيجاباً، وأسلمت معصمها ليده الخبيرة، بينما عيناها لم تفارق وجهه الجاد، لا تدري سبب توترها أخوفها على نادر أم نظراته الخضراء التي طارت لقلبها كأوراق شجرة تحترق، نفضت عن رأسها تلك الفكرة البلاء فهي أبداً لم تكن من أولئك الفتيات اللاتي يسعين دائماً للحب أو لنيل إعجاب الفتيان.

أنهى فحصها وأخبرها أن ضغطها منخفض بالفعل ولا بد أن تعلق محلولا ملحياً، لكنها رفضت وطلبت منه أن يدلها إلى غرفة أخيها فأخبرها أنه طبيبه المعالج وأن نادر تجاوز مرحلة الخطر حالياً. رددت بهدوء:

- شكراً.

ابتسم بخضراويه مطلقاً سهاماً خفيه لقلبها الغافي، وابتعد ممسكاً هاتفه ليحدث زوجته ويطمئن على ابنته فقد نال يوماً طويلاً مرهماً من العمل وكم يتوق للعودة إليهما.

فتحت بيسان باب الغرفة قائلة بمرحها الذي تختبئ خلفه كعربة تحتمى بغطائها من أمطار النظرات الفجة الفضولية أو حرارة الشفقة الباهتة الشامئة أحياناً:

- أين هو ذلك الصغير الذي يتفنن في إثارة رعبنا؟

فوجئت بأعين باكية ووجوه واجمة حزينة، تماسكت متسائلة:

- ماذا بكم؟ أحدث مكروه لنادر؟

توجهت إليها بشرى شقيقتها هامسة:

- لا حبيبتي، لا تقلقي، هو لا يزال نائما.

ثم خرجتا خارج الغرفة، وأخبرتها بشرى أن نادر صرخ فجأة متألما من بطنه كان صراخه يشق جدران الفيلا ويعلو على صوت المسجل العالي بأغاني الأطفال المرححة أثناء حفلة عيد مولده الثامن، ولأن تألمه لم يكن طبيعيا أبدا فانطلقوا بيه على الفور إلى المشفى.

وبها علموا أن أخاهم تعرض لطعام فاسد وسيكتشفوا بعد التحاليل إذا كانت به شبهة تسمم أم لا، نزل الخبر على الجميع كأنهيار برج شاهق فوق رؤوس ضحايا أبرياء، وحامت الأسئلة بخدهم كحياة رقطاع تطلق سمومها بأفكارهم، ولكن بعد بضع سويغات واختفاء مراد الشافعي والدهم مع الأطباء، عاد يخبرهم اكتشافهم لوجود حساسية شديدة تجاه إحدى مكونات الطعام التي أكلها نادر.

لكن حدثتها بشرى سرا أنها لا تصدق والدها وتشعر أنه يخفي شيئا ما لا تدري كنهه فأخيها الصغير لم يعان من قبل أي حساسية من أي نوع، لكن بيسان طمأنتها أن والدها لن يتهاون أبدا في أي شيء يتعلق بهم خاصة نادر فالتطمئن، فابتسمت بشرى وقالت مازحة شقيقتها:

- لكنني متعجبة من قلقك على أخيك بل وأتيت أيضا للأطمئنان عليه.

- أهتم تتعجبي، لا أهتم تنهريني، حقا احترت معك، أكان من الأفضل أن أذهب للفيلا مباشرة لأكل وأنام؟!

- حقا! لا هكذا أفضل، تفضلي بالداخل حتى يفيق نادر، وأرجوك قولي كلمة طيبة لأبي ولىلى.

زفرت بقوة وهي تعيد نثر شعرها الثائر البني قائلة:

- حسنا، حسنا.

دخلنا سويا، نظر مراد لبشرى فهزت له رأسها حتى يطمئن تجاه بيسان وجلست بجوار أسر زوجها عابسة فهي لم تجد بعد الوقت الكافي لتطالبه بتفسير عن الكلام الذي سمعته يدور بينه وبينها، حيث انشغلا جميعا بصرخة زينب المختلطة بالتواتات نادر الناطقة بآلامه.

اقتربت بيسان من ليلي التي تجلس على طرف سرير نادر وتحتضن كفه بيدها، هبطت يدها بحنو على كتف ليلي قائلة:

- لا تقلقي يا ليلي سيتحسن إن شاء الله، لقد تحدثت مع طبيبه المعالج قبل دخولي وطمأنني كثيرا.

نظرت لها ليلي بعيون أبنوسية ذات أهداب طويلة ندية من آثار البكاء قائلة:

- أشكرك حبيبتي، لا حرمني الله منك أبدا.

ترددت بيسان قليلا ثم قبلت جبين نادر ومسدت على شعره الناعم، كم يبدو هادئا وديعا، ودت لو ينهض ليثير زوبعته المعتادة، ويضايقها ويختطف أشياءها، لم تتصور أبدا أنها قد تتمنى هذا بيوم من الأيام، ولكن أحيانا يتوه حبنا لمن حولنا وبيتعد ولا ندرکه إلا وقت الأزمات، وكم هذا مؤلم ومرهق، ابتعدت تجلس بجوار بشرى التي قالت لها هامة:

- أهاتفتي أمير وأخبرتني بما حدث؟

- نعم، لكنني لم أتلّق منه ردا.

فطلبت منها بشرى أن تهاتفه مرة أخرى وتخبره بما حدث، فهي ليس بها أي طاقة أن تعيد ما قالت له لبيسان مرة أخرى على مسامح أمير حيث تجاهد لإحياء ابتسامه هادئة على منحنيات وجهها الذي احتله الحزن رغما عنها، حمدت الله لانشغال الجميع بأخيها الصغير وإلا للاحظوا قسماستها الواجمة، فهي لم تفتح شفيتها بالكلام إلا عندما حضرت أختها فرؤيتها والحديث معها يثيران فيها دائما روحا مرحة قديمة يبدو أنها ستختفي تماما مع الأيام القادمة.

قبل أن تخرج بيسان لتهاتف أمير نظرت لوالدها ونزلت على ركبتيها لتكون قريبة منه، وضعت يدها على يده قائلة:

- أبي، أنت بخير؟

نظر لابنته التي ستظل الصغرى بنظره دائما، مسح على وجهها وطمأنها على حاله، كما يحاول أن يهدئ من روع الجميع، لا يمكنه أن يتركهم للحقيقة تنهال عليهم بسوط عذابها كما تشاء.

فجأة فتح الباب وطل شاب طويل رياضي الهيئة وسيم الملامح، قال بصوت مرتفع نسبيا:

- كيف أمكنكم فعل ذلك؟! نادر يتعب ولا يتكلف أحد عناء إخباري.

انفجرت وجوه الجميع عن ابتسامه شاحبة لدى رؤيتهم أمير، وأخبرته بيسان أنها خابرتة على هاتفه الخلوي ولكنها لم تتلق منه ردا، فكادت أن تكلمه ثانية ولكنه باغتهم بحضوره، فاعلمهم أن مرببتهم زينب هي من أخبرته وأنها تجلس بالفيلا يكاد القلق والخوف على نادر يفتكان بها ويمزقان القليل المتبقي من أعصابها الهشة.

خرجت بيسان على الفور لتطمئن (دادة زوزو) كما يطلقون عليها، بينما توجه أمير أخوهم الأكبر لفراش نادر بعد أن ربت على كتف والده وسلم على أسر ولكم بشرى في كنفها كعادته، وقال لليلى وهو يربت على شعر نادر:

- لا تقلقي يا لولو، سيتحسن ويكون بخير بإذن الله.

- يارب يا أمير.

وقبل أن يرد عليها كان نادر يفتح عينيه ببطء ويتأوه بخفوت، فقال أمير بمرح كعادته:

- استفاق الصغير أخيراً، هيا انهض لتقلب البيت رأساً على عقب كما تفعل.

تبسم الصغير بصعوبة فانهالت عليه ليلى بالقبلات الدامعة حتى أبعدها أمير بهدوء منادياً والده الذي ابتسم واقترب أخذاً زوجته بين ذراعيه هامساً في أذنها:

- حبيبتي، اهدئي أرجوك، حمدالله أنه استفاق واطمأننا على حاله.

ظلت ليلى تردد الحمد لله.. الحمد لله، بينما توجه أسر وبشرى ليطمئنا على نادر، وفي نفس الوقت دخل الطبيب المعالج لنادر مع بيسان التي كانت تمسك بيدها كوباً ورقياً من القهوة الساخنة قائلة:

- دكتور إبراهيم جاء ليطمئن على المشاكس الصغير بنفسه.

ألقي إبراهيم تحيته البشوشة على الجميع، وبعد أن أنهى فحص نادر والاطمئنان عليه قال له باسمًا:

- أتعرف عندي طفلة جميلة تقاربك في العمر تقريبا، لو أكلت كل طعامك الذي ستحضره الممرضة، سوف آتي بها لتلعب معك، ما رأيك، يا بطل؟

ابتسم نادر قائلا بفرح:

- موافق.

علت وجوه الجميع ابتسامة سعيدة عدا بيسان التي لم تكن تعلم لم سكن الضيق أركان روحها، سألتها بشرى من أين أتت بكوب القهوة فأخبرتها أن دكتور إبراهيم هو من أحضره لها لأن ضغطها كان منخفضا عندما قابلها في ردهة المشفى، فقالت متعجبة إنه طيب القلب ويتابع الجميع ولا ينسى أحدا، بعد أن خرج إبراهيم استعد الجميع للرحيل ماعدا ليلي فقد أصرت أن تبيت مع ابنها، ودعوها جميعا وقال مراد بحنان:

- سأكون عندك غدا بالصباح الباكر، وإذا احتجت أي شيء هاتفيني فوراً.

بنما اقترحت بشرى أن تبيت ليلتها مع ليلي ونادر فاحتل الحزن قسماً وجه أسر ولكنه لم يعترض، لكن مراد رفض طالبا منها أن تعود مع زوجها فهي لاتزال عروسا جديدة، فانصاعت لأمر أبيها، وغادرت مع أسر بملامح يتخللها الأسى.

في السيارة شردت بشرى فيما حدث، اندلعت الدماء بقلبها بقوة تضرم بجدرانه كنيوان عاتية لن تقوى على إطفائها أي ماء، لم تصدق أبدا ما سمعته بل إنها تمننت لو لم تتوجه إلى المطبخ حتى لا تسمع حديثهم الدائر بالغرفة الصغيرة التي تسبقه بفيلا والدها، وكيف تصدق أن زوجها وحبیبها قد يتزوجها فقط تنفيذا لخطة محكمة وضعتها أمه.

تشعر وكأن مسمارا يدق بقلب حبها، يشوه جماله بداخلها ويزعزع كل ثقة كانت تتخلله، لم تكن تظن أن أم زوجها قد تفكر هكذا، تعلم عشقها للمظاهر والماديات، تذكر كم كانت تريد فرحا ضخما فخما تعرف جيدا أن أسر لن يتمكن من دفع تكاليفه، ولكنها كانت تلمح بكل وقاحة أن على مراد تولي أمر إسعاد ابنته وعريسها، ولكن لم يكن حفل الزفاف الفاخر هو ما قد يسعد بشرى فقد كانت تريد حفلا هادئا وسفرة جميلة إلى أكثر دولة تعشقها، وكان أسر يوافقها فكانت دائما أحلامهما واحدة تتشابك وتكتمل دون أن يحكيها، ومع ذلك عرض والدها بالفعل أن يتحمل تكاليف الزفاف على نفقته كهدية للعروسين، لم تنس حتى الآن ما قالت يوم زفافها واستعادت صوتها الحاد وهي تقول للماكرة التي تضع زينة رقيقة للغاية على ملامح بشرى الناعمة:

- ما هذا أحضرنا أحسن ماكرة بالبلد لكي تطل علينا العروس وكأنها مستيقظة من نومها للتو!

اتسعت أعين الجميع وساد الصمت لحظات لم يقطعه سوى ريم شقيقة أسر التي اقتربت من أمها متصنعة المرح وأخبرتها أن أسر من طلب أن تكون زينة بشرى بسيطة وأثنت على جمالها وإتقان الماكرة لعملها ثم همست بأذن أمها بكلمات لم يسمعها أحد ودفعتها خارج الغرفة قبل أن يحتد صوت ناهد ويبدو عليها الامتعاض أكثر من ذلك وتحبط فرحة العروس.

وخرجت بالفعل وعلامات الضجر بادية على وجهها، شعرت ريم وبيسان بتوتر بشرى فأكدتا لها مدى جمالها وهي بالفعل كانت جميلة جدا بشعرها الذهبي الناعم المنسدل برقة على كتفها ومجدول جزء منه للخلف مع الطرحة البيضاء المرصعة بالفضة اللامعة بشكل رقيق ورائع جدا.

دمعت عيناها عندما تذكرت نظرة عيون أسر وهو يأخذ يدها من والدها على أنغام موسيقى الساحرة لأغنية الزفاف الشهيرة ويغمز لها بعينه ممازحا وابتسامته التي تتطوق حبا عندما تضرجت وجنتاها بحمرة زادتها جمالا فوق جمالها، هل كل هذا كان محض تمثيل وادعاء ألم تكن تملأ قلبه حبا وشغفا وعندما قربها إليه ليرقصا سويا رقصتهما الأولى كزوجين بعد كتب الكتاب حيث ضم يدها بيده وأصقها إلى قلبه احتضن خصرها بيده الأخرى ولثم وجنتها هامسا في أذنها:

- مبروك حبيبة قلبي.

سمع هتافات الأصدقاء تشجيعا لقبلة، فضمها إليه أكثر عله يختفي معها عن الأعين، أكانت كل تلك المشاعر كأكذوبة وجود (سانتا كلوز) على الأطفال! أكانت في نظره ساذجة لهذا الحد!

الفصل الثالث:

وصلا منزلهما الكبير المكون من ثلاث غرف ومدخله به صالون مودرن لاستقبال ضيوفهم كما يحتوي على سفرة عصرية، دخلت غرفتها التي توجد بنهاية طرقة طويلة، وأغلقت بابها خلفها بعنف، ألقت بجسدها على الفراش الذي كان يجمعهما طوال ثلاثة أشهر زواج، انحدرت دموعها بدون إرادة منها، لا تدري أتبكي حبها أم كرامتها التي تآبى أن تسمع منه، أم قلبها المخدوع الذي لا يدري أيصدق حبه الذي كان يبرق كالنجوم بعينيه، أيصدق صوته الذي كان يشدو بحبها دائما أم يعتبر كل ذلك مجرد برق ضوء أصاب سماءه سريعا واختفى سريعا.

سمعت طرقاته وصوته القوي المميز من خلف باب غرفتها يقول بحزن:

- بشرى، أرجوك افتحي، دعيني أشرح لك ما حدث بالتفصيل.

أغمضت عينيها، صوته يعذبها، ماذا سيشرح لها؟ سيفسر كيف مثل عليها وكيف اتفق على ذبحها...

ازدادت طرقاته على باب الغرفة حدة وقال:

- بشرى، افتحي من فضلك، تتوق نفسي للاطمئنان على نفسي.

ابتسمت بسخرية، يخشى عليها، لو يعلم أي فكرة أتت ببالها الآن، محت عبراتها بقوه ثم توجهت لفتح الباب ستواجهه لا مفر، ولكنها لن تجعله يرى الانكسار والحزن بعينها حتى لو كانت تهيم به عشقا:

- ولماذا تخشى علي؟ فإذا أصابني مكروه سترثني وتعطي لوالدتك من الأموال ما تشاء!

رأت اتساع مقلتيه البنيتين ولكنها أدارت وجهها بعيدا وسمعتة يقول
بدهشة:

- كيف تتفوهين بمثل تلك الحماقات؟ بل كيف تظنين أنني قد أفكر
هكذا؟!!

ازدادت سخريتها قائلة:

- وكيف لا أفكر هكذا، أليس هذا ما تريده والدتك، أليس هذا سبب
زواجك مني؟!!

- ألهذه الدرجة ليست لديك أي ثقة بي أو بحبي لك!

- ما كنت لأصدق أبدا لولا أنني سمعتكما بنفسي.

ابتعد بخطوات بطيئة ماسحا بيده على ذقنه الكثيفة، عليه أن يتحلى
بالصبر، فما سمعتة ليس هينا أبدا، استدار عائدا إليها بهدوء كم يتمنى
أن يحتضنها ويمحو عنها كل الألم الذي يراه متربعا بعينيها، اقترب منها
أكثر لامس ذقنها بأنامله رافعا وجهها لمواجهته لتتظر في عينيه قائلا
بهدوء:

- ما سمعتيه كان نصف الحقيقة، أما الحقيقة الكاملة فستطلب هدوءك
كي تسمعها مني وتعلمي أنني تزوجتك لعشقي لك وليس لأي أسباب
أخرى.

شعر أنها قد تستجيب فعيناها لا تكذبان عليه أبدا ولكنها تراجعت بسرعة
خطوة للوراء وأدارت ظهرها إليه عائدة إلى حجرتها قائلة:

- لا أريد سماع كذبات جدد.

وأغلقت الباب عليها، أغلقته أمام قلبه، بل أمام قلبها، حرّمت الحنين على قلبيهما، حرّمت على قلبها تفاحة آدم التي ستخرج كرامتها من الجنة وتلقي بها لحجيم الأرض، فتصم آذانها عن نداءات قلبه وترفض الصلاة بمحرابه، وتنشق روحها عن تفرحات دامية تغرق ذكريات حلوها أصبح يمرر طعم الأيام.

بينما هو يتقلب حائرا، يحاول هدهدة روحه فلا تنهار أو تثور، لذلك تتمم قائلا محاولا التمسك بتلابيب الهدوء:

- بشرى، استمعي إليّ، لا بد أن نتحدث كالعاقلين.

- لا أريد التحدث معك، كما أنني أريد الطلاق.

- نعم!

- كما سمعتني.

لقد جنت بالفعل لم يتمكن من الرد عليها حتى؛ أخذ هاتفه ومفاتيحه وارتدى حذاءه وأغلق الباب خلفه يشعر بالاختناق ويحتاج لهواء بحر الإسكندرية الجميلة عله يرتاح قليلا.

عندما سمعت صوت باب المنزل أيقنت أنه خرج من البيت، كما سيخرج قريبا من حياتها كلها.

التقطت هاتفها ستتحدث مع رضوى صديقتها المقربة، عليها أن تسكب ما بداخلها لأحد قبل أن يتخمر وتتناثر أجزاءه بنفسها فتجرحها أكثر من ذلك، تحتاج لصوت خارجي يفكر معها، ولا تريد أن يعلم أحد من عائلتها أي شيء مما حدث، إذن فلتحدث رضوى أمينة كل أسرارها، أخبرتها كل شيء كعادتها دائما وبعد أن استمعت إليها رضوى قالت:

- يا الله، أنا أبدا لم ارتح له أو لوالدته تلك، وأخبرتكم بذلك أكثر من مرة، لكنك كنت كالغريق العالق بقشة ولا يريد أن يفلتها حتى إذا كانت لن تنجيه وحتى إذا كان البر أمامه وهو يتوهم الغرق.

فرضوى لم تكن معجبة أبدا بأسر أو بعلاقة بشرى وحبها الشديد له، ولذلك فشجعت صديقتها على خطوة الطلاق فهي ترى أن غلطة أسر لا تغنر وأنه وأمه يريدان أموال والدها فقط ولن يتوقف حتى يحصل عليها، وتفاجت عندما علمت بنية بشرى في عدم الإفصاح عما سمعت بين أسر وأمه، لم تتمكن رضوى أبدا من فهمها فهي لا تتوانى عن رد الصاع صاجعين لمن يجرح طرفها، لا تتفهم أبدا طبيعة بشرى التي لا تستطيع إيذاء أي كائن عدا حتى لو كان يحمل سكيناً بيده ليجرحها، فما بالك بأسر حبيب القلب والروح.

أنهت بشرى محادثتها مع صديقتها وهي تشعر بضيق أكبر يحتل روحها وضباب يكتنف عقلها وقلبها، يحجب عن عينيها الرؤية ويمنعها من معرفة الحقيقة.

بعد أن كانت تعرف أسر وتراه كما ترى نفسها في المرأة أصبحت لا تعلم كيف يفكر حتى؛ كثره التفكير ستنقلها وبدأ صداع رهيب يغلف رأسها كلها.

أرادت الهروب من كل هذه الأفكار القاتلة وضعت سماعات الهاتف في أذنيها وفتحته على قائمة الأغاني الخاصة بها وعلى أعلى درجة للصوت وتوجهت للمطبخ لتحضير القهوة باللبن التي تعلمت عشقها لعشقه لها جعلتها الفكره أكثر بؤسا إنه يحيط بها في كل تفاصيل حياتها. وتذكرت رغما عنها الحوار الذي سمعته بين أسر وأمه، لا تنفك كلماتهما تتردد بعقلها غصبا واقتدارا وبأعلى صوت.

تذكر أسر ما حدث منذ ساعات قليلة وقلب حياته الزوجية رأسا على عقب، استنشق هواء كرنيش الأسكندرية عليه يخترق رئتيه فيحيل النيران رمادا، لم يصدق أبدا أن تصدر تلك الكلمات عن أمه، فمهما كان حبها للمظاهر وعشقها لنفسها وللمال، لم يتصور أبدا أن تنفوه بتلك الترهات قائلة:

- وأما بعد في رأسك المتحجر هذا، أحذرك، استمع إلي ونفذ كلامي.
- أمي أرجوك، لا يمكننا التحدث هنا، تفضلي الآن معهم بالخارج وسوف نتحدث عندما آتي إليك.
- وهل تأتي إلي؟! إنك تنهرب مني.
- نعم، أنتهرب منك، وأقولها لك الآن، أمي لا ولم ولن أنفذ ما تريدينه.
- أجننت! أبعد كل هذا وتقول لا، بعد أن تزوجتها وأصبحت مدلة بحبك، بالطبع لا.
- يا أمي أرجوك..
- تبا لك، استنفذ ما أطلبه منك أم لا.
- بالطبع لا.
- حسنا، كما تشاء، لكن لا تأتي إلي باكيا عندما أخبر حبيبة قلبك أنك تقربت منها ومثلت عليها حبك بجدارة حتى تنزوجا وتصبح كل أموال والدها بين يديك، وتعيد إلي حقي الذي نهبه هو وأبوه من أبي، وجعله يموت حسرة على أمواله.
- اتسعت عينا أسر ذهولا من كلام والدته التي لا يعلم إذا كان لديها من مشاعر الأمومة شيء أصلا أم لا، تدارك دهشته وقال:

- وما سيفيدك إن أنت أخبرتها، لن يعيد لك هذا الأموال التي تحلمين بها، أرجوك يا أمي تفضلي الآن إلى منزلك وسأمر عليك بوقت لاحق. ألقّت عليه سهام نظراتها شذرا وغيظا وقالت بغل متناسية أنها توجهه رصاصاتها لابنها:

- حسنا يا أسر، لن أستفيد حقا لكنني سأكون قد هددت المعبد على كل من به، فأنا لن أموت كمدا بمفردي.

نظر لها غير مصدق لما تقول هل هي أمه فعلا هل يمكن أن تكون أم، لم يتمكن غير أن يقول:

- تفضلي الآن لو سمحتي.

وتوجهه للخارج قبلها حتى لا يعطيها فرصة لأي كلام آخر، ولكنه تفجأ بأخر شخص يتمنى رؤيته الآن، بشرى.

أغض عينيه على تلك الذكرى الأليمة، يتوجع قلبه كلما تذكر شرارات الكراهية تتقاذف من عيناها إليه هو ولدها، لكنه قد اعتاد ذلك من ناهد أمه، فهي لم تتحول هكذا فجأة، بل هي بهذه الأنانية وذلك الشر منذ وعي وأدرك، هو قد يتحمل أما تلك المسكينة بشرى، كيف لها أن تتحمل كل هذا الحقد الذي تحمله أمه له ولها ولوالدها وهي التي تربت ببيت يسوده الحب والحنان، هي الرقيقة الحاملة البريئة، كم يتمنى أن ينسدل حزنها مع الليل الهادئ ويشرق صباح الغد بعزوفها عن فراقه، هو يحبها بالفعل ولن يتحمل فكرة فقدانها أبدا، عليه أن يعود سريعا قبل أن تنام ويشرح لها كل ما حدث، ولكن كيف وهي تتحدث معه كقاذفة لهب.

عاد إلى المنزل عاقدا العزم على التكلم معها وتوضيح كل الأمور لها مع محاولة للسيطرة على أعصابه في مواجهه قطار غضبها الذي لا يتوقف؛ لا يعلم حتى إذا كانت ستقتنع لكلامه أم لا؛ وجدها تجلس بشرفة غرفة المعيشة ترتشف قهوتها اللينة لطالما تعجب كيف تشرب القهوة ليلا وتغفو بعدها بين ذراعيه كالملاك، وعندما سألها عن ذلك أخبرته أنها تشعر بين أحضانه باسترخاء وأمان أقوى من مفعول ألف فنجان قهوة فنتمكن من النوم بكل بساطة، كم يعشقها ويهيم بها حبا.

لم تشعر بمراقبته لها، كانت أفكارها تسبح بها بعيدا تبهر بها كأموج متلاطمة متقلبة بين الهدوء والغضب بين العاصف والراكد، تذكرت كلمة بالطبع لا ردا على جملة والدته إذا كان سيكمل تنفيذ تلك الخطة أم لا وحات كثيرا هل تصدقه، أم تجهز على قلبها بنفسها وتبتعد عنه، تعجبت من حيرتها وعدم قدرتها على اتخاذ قرار ولكنها هكذا حينما يتعلق الأمر بأسر، فهكذا حال كل العاشقين تنهار العقول وتغتنل الأفكار ويغدو التعقل ديانة لا يعتنقها القلب مطلقا وتكذب بها الروح ويهرب منها الفكر.

وجدته يجلس أمامها فجأة لا تدري من أين هبط ألم يكن بالخارج متى عاد، ألهذه الدرجة كانت سابحة بأفكارها، لم تنظر له ظلت محدقة بفنجانها وكأنها تحتمي به من نزوات القلب، ولكنها سمعته يقول بهدوئه المعتاد:

- بشرى، أرجوك تخلي عن هذا العند واستمعي إلي.

لم تتمكن من إبعاد شفيتها عن بعضهما لإلقاء الكلمات، فتركت فنجانها ونهضت تهرب من قلبها لا منه، لكنه أمسك يدها قائلا بحب:

- أقسم لك بربي، أنني أحببتك منذ رأيتك أول مرة، وكل ما سمعته ترهات برأس أمي فقط.

نظرت إليه وقد اغرورقت عيناها بالدموع، تشعر بعاصفة تجتاح مذنبا وتفضي على كل تماسك تصطنعه، حاولت الابتعاد حاولت استعادة روحها الساخرة ولكن كل شيء تدمر أمام عواصفه، فانهمرت دموعها تشق جراحا جديدة لن يتحملها هو، نهض مقتربا منها، لثم دموعا حبيبة هو سببها وقال هامسا:

-أرجوك، إلا دموعك، اصرخي.. اضربيني.. سأتحمل أي شيء، إلا أن تبكي وتتألمي، فأدمعك تنهمر على قلبي كاوية مانعة عنه كل سبل الحياة.

- لا، لن تتحمل كلماتي ستكويك ألف مرة أكثر من عبراتي، فلا تستجديني لقولها فلن تُجبر كسورنا بعدها، أرجوك اتركني بمفردي.
نزعت يدها من بين أصابعه وتركته مبتعدة نازعة قلبه أيضا من بين أضلعه.

أحرق دموعها مقلتيها، انهارت على الفراش تبكي حبها وكرامتها الجريحه وقلبها المكسور؛ ظلت تبكي حتى نامت لم تدر إلا وضوء الصباح يداعب عينيها تلملت قليلا وحلم جميل يداعبها بأنه هنا بجوارها يده تلامسها وذراعاها تحتضنها وشفثاه تلمنمان وجنتها تبسمت؛ وتقلبت لتلامسه ولكن قابلتها الوسادة؛ مر كل شيء أمامها في طرفة عين؛ تذكرت ماحدث بالأمس فقط وكأنه حدث منذ زمن؛ اعتدلت ونظرت بهاتفها كانت الساعة التاسعة صباحا؛ هل مازال بالبيت أم لا؟ اليوم السبت إجازته من الشركة الهندسية الكبيرة التي يعمل بها.

نهضت من فراشها وجسدها كله متعب توجهت للحمام لتستحم وتبدل ثيابها.

بعد أن انتهت من تصفيف شعرها الذهبي خرجت تستكشف أين هو؛ كان نائما بغرفة المعيشة على الأريكة الكبيرة بجواره هاتفه وفنجان قهوة؛ جلست على كرسي بعيدة عنه ونظرت إليه جيدا يبدو عليه الإرهاق ملامحه جامدة، كم اشتاقت إليه قلبها ينزف شوقا له وحزنا مما علمت.

انتفض من مكانه فجأة يبدو أنه شعر بوجودها، بدا عليه أنه لا يفهم أين هو ولا ماذا يحدث ثم رفع أحد حاجبيه ناظرا إليها قائلا وقد استعاد إدراكه:

- أبك شيء؟ أنت بخير؟

فاجابت بلا مبالاة أنها بخير، اعتدل هو في جلسته وتمتع متكاسلا فهو لم ينم، لقد شعر بالنعاس في السابعة صباحا، نظر إليها نظرة جانبية تجلس بعيدة عنه حبيبته وزوجته التي كانت لا تفارق حضنه، كم تغير الوضع في ساعات بل لحظات قليلة؛ جميلة هي كما اعتاد عليها دائما بشعرها الناعم الكثيف الذهبي وبشرتها البضة ووجهها البريء، وما يثير جنونه أنه لا يمكنه الاقتراب منها؛ مسح بيديه على شعره ورقبته ثم ذقته وتمدد مرة أخرى على الأريكة قائلا بجفاء يخفي ما يعتمل بداخله:

- اتركيني بمفردي من فضلك، فأنا لم أنم إلا منذ ساعتين ومرهق جدا.

نهضت على الفور وبدا الوجوم على ملامحها البريئة؛ يعلم أن طريقتة هذه ستستفز كرامتها المتحفزة دائما للاشتعال بشتى الطرق، راقب ابتعادها الصامت مع تمتمات خفية، تبسم وحاول الاسترخاء للنوم مرة أخرى؛ هذا فقط ما يحتاجه الآن بشدة.

عادت بشرى إلى غرفتها واجمة من طريقته فهو المخطئ ويتعامل هكذا؛ كم هي ساذجة وغبية دائما عبيطة كما تقول رضوى ولكن لا؛ يكفى ما حصدت من الطيبة.

استبدلت ملابسها ببنطال من الجينز وقميص قطني أبيض اللون وزينته بوشاح مبهج بألوانه الخلابة وضعت زينتها الخفيفة وتركت شعرها منطلقا حولها مثيرا موجة ثائرة حولها كما مزاجها تماما.

أطلت عليه من باب الغرفة قائلة:

- أسر.. أنا خارجة.

لم يكن النوم قد تملك منه بعد ورائحة عطرها المنعش المميز اخترقت هالته الحزينة فأنعشتها ولكن جعلتها أعادته لحزنه مرة أخرى؛ اعتدل ملتفتا إليها قائلا بهدوء:

- إلى أين؟

- للمرسم.

أخبرها أن تنتظره سيبدل ملابسها ويأتي معها، فرفضت فهي تريد أن تبقى بمفردها، وهو آخر شخص تريد الحصول على رفقته.

فاقترب منها قائلا بحنان محاولا احتواء ما يعتمل بداخلها وتفهمه:

- ألم أخبرك من قبل عندما يحتلك الضيق تهربي منه لذراعي وليس بعيدا عنهما.

أطرقت برأسها لا تستطيع النظر لعينيها الصقريتين اللاتي تسبران أغوارها؛ قالت بحزن شاعرة باحترق لا تدري إذا كان نتيجة دموعها أم مشاعرهما ومع ذلك قالت بخفوت:

- وإن كنت أنت سبب ضيقي أهرب لمن؟
- تهربين لحضني أيضا، وأنا سأعيد لك حقك من نفسي يا كل نفسي.
- نظرت له دامعة؛ مسح بأنامله دمعة فرت من عينيها ولم يتمكن سوى أن يتلمس وجنتها وشفثيها، لكنه وجدها تبتعد قائلة بصوت مبجوح:
- أسر أرجوك اود أن أبقى بمفردي.
- تبدلت نظرتة المحبة إلى نظرة حزينة معتدة؛ وابتعد عنها بهدوء قائلا:
- حسنا، كما تحبين.
- حسنا.
- وسارت مبتعدة عنه وقابها يتمزق صارخا باسمه.

الفصل الرابع:

ظلت ترسم لساعات تنهال بفرشاة الرسم على لوحتها، فتحركها لتجلد بها كل ما يجرحها، فتخطو بها لتمزق مشاعره بالأسود وتتركها تسيل بالأحمر الدامي وعليهم خضرة مشاعرها البريئة فيغثاله سواد دموعها المنهمرة على قلبها الذي يقطر أحمر داميا على جراحه الملتاعة منهيًا طاقتها، فألقت بالفرشاة أرضا وبكل شيء يواجهها، كسرت أي شيء يقابلها صارخة حتى انهارت ووقعت أرضا.

بكت مشاعرها وحبها وصدقها ولحظات حبه الدافئة، بكت خوفه المزيف مشاعره الكاذبة عينيه الخادعة.

بكت مستقبلهم الذي كانت تتخيله جنة، لا تعلم كيف يمكنها أن تتعامل معه، كيف ستتعامل مع ناهد أمه، بعد كل ما سمعته منها، تعلم الآن أنها لا تملك قلبا، لقد هددت ابنها بكل قوة وعنف وجبروت، فكيف ستتعامل معها وهي التي تكرهها وتريد الانتقام منها ومن أبيها، كيف ستدخل منزلهم مرة أخرى كيف ستتركها تدخل منزل والدها وهي تعلم ما تضمره له، حتى لو صدقت هي أسر، لا بد أن يفترقا، فهي لن تطالبه بمقاطعة أمه بالطبع، فلأتأي المقاطعه منها هي إذن.

وبعد قليل من الوقت حاولت لملمة نفسها الجريئة، ينطلق رنين هاتفها فينقبض قلبها خافقا بعنف، هل يكون هو المتصل؟ نظرت لشاشته وجدت أنها بيسان أختها، لم تتمكن من الرد أبدا وهي في هذه الحالة، فمسحت دموعها وأغلقت هاتفها.

فكم هو موجه انتظار رؤية اسمه على شاشة الهاتف.

خرجت من المرسم محاولة لملمة نفسها المبعثرة ومشاعرها المذبوحة، كانت الساعة لاتزال الواحدة ظهرا، لن تتمكن من العودة إلى المنزل الآن تجاهلت سيرتها وترجلت إلى كورنيش الإسكندرية القريب علّ هواءه يضمد جراحها.

ظلت تجري بقوة واضعة سماعات الهاتف في أذنها تسمع أغانيها ذات الرتم السريع غير عابئة بمن يحاول مكالمتها أو إيقافها للتحدث معها، كانت تريد أن تجري في النادي كما اعتادت دون أن يقاطعها أحد، لذلك هانفت بشرى أولا ولأنها لم ترد فجعلت هاتفها في وضع الصامت وقررت أن تجري كما اعتادت.. لا ليس كما اعتادت إنها الآن تجري لتفرغ كل غضبها وقهرها وكرهها.. رنت الكلمة في عقلها ثقيلة.. جاثمة على قلبها كجثة هادمة لا تجد من يحركها من فوقها، هي لا تكرهها ولا تكرهه بالعكس إنها تحبهم بشدة وبقوة.. لا ليس لهذه الدرجة بل إنها معظم الوقت لا تهتم لهم.. عقلها مزلزل بألف زلزال.. كم كرهتها عندما دخلت حياتهم وأخذته منها أخذت الدلال والحب وأحضانة الحانية المطمئنة كم ثارت عندما علمت أنه سيتزوجها بحجة أن تهتم بها هي بالاخص كم كانت عنيدة وقتها ترفض كل شيء يقربها منها.

ولكن مع الوقت شعرت بحب غريب تجاهها كأنه عدوى انتقلت منهم كلهم إليها فكانوا كلهم يعشقونها وينادوها بماما إلا هي كانت دائما تقول ليلي فقط حتى انتقلت إليها عدواهم وصارت تعشقها مثلهم وتتدلل عليها وتلعب معها وتخبرها كل شيء وأيضا تناديها بماما.

ولكن للمرة الثانية سرقت منها كما سرق والدها حبيبها من قبل وذلك عندما أتى هو إلى حياتهم..

لا تدري ماذا حدث فجأة ارتطمت بشيء ما ووقعت أرضا، يبدو أن غمامات عينيها منعت عنها الرؤية سمعت من يساعدها قائلاً:

- أنا آسف جداً، أنت بخير؟

سمعت هذا الصوت من قبل فهو وصاحبه مميزان، نظرت جيداً من خلف نظارتها الشمسية ودموعها المتحجرة فوجدته مختلفاً تماماً بملابسه الرياضية عما رآته أول مرة بالبالتو الأبيض والنظارات الطبيه، استندت عليه وأخبرته متبسمة أن هذا تعادل بينهما فما هو يصطدم بها كما فعلت معه من قبل، فتعجب وتساءل بحياء إن كان يعرفها من قبل فذكرته باللقاء الذي كان من يومين بالمشفى، وسألته إذا كان عضواً بالنادي فأجاب:

- نعم، عائلة زوجتي أعضاء هنا ويأتون باستمرار، فقررت أخيراً أن أحصل على بضع ساعات راحة وأقضي اليوم معهم هنا.

تيسمت لصراحته وصدقه النادر وطلبت أن يقابلها بزوجه فقد يصبحا أصدقاء أو تكون صديقة قديمة، فرحب بذلك للغاية وأخبرها أنه ووالدها مراد يعرفان بعضهما من قبل، واعترف بامتنان أن أباهما له أفضل كثيرة عليه، حيث إن والديه متوفيان وليس له أقارب، أخبرها ذلك وكأنه يبرر خطأ ارتكبه، وأظهرت عيناه أسى غريباً ظننت أن له معان أخرى كثيرة غير ما ذكر لها، ولكنها لم تكن تعلم أبداً أن والدها يعرفه أو يساعده، تعجبت بداخلها دون أن تظهر ذلك بمهارة حتى لا تخرج نفسه الأبية.

بالفعل صدق حدسها كانت تعرف زوجته منذ الطفولة فيلعبان سوياً بالنادي وأنشطته ولكن فرقتهما الأعوام والدراسة المختلفة كما كانت زوجته تكبر بيسان فهي من عمر بشري أختها، أصرت داليا الرشيدى

زوجة إبراهيم وعائلتها أن تجلس بيسان معهم قليلا ليستعيدوا ذكريات طفولة سعيدة ومرحة، وتعجبت أكثر عندما قالت داليا بمرح:

- عمي مراد هو من خطبني لإبراهيم، وكان شاهدا على زواجنا أيضا. فرحت داليا كثيرا عندما علمت أن إبراهيم عالج أخا بيسان، فكانت عيناها تنطقان فخرا وحباً له يضا هي عشقها الظاهر بوضوح بعينه.

وظلت والدة داليا ووالدها يسألان عن أحوال إخوانها ومراد وليلى ويطمئنا عليهم حتى رن هاتف بيسان وكان المتصل أمير يعلمها بأنه في الطريق إليها ليقلمها بنفسه من النادي.

وبعد ما يقارب الربع ساعه كان أمير قد وصل النادي وصف سيارته، سار الهويني باحثاً عن أصدقائه ووقعت عيناه على فتاة يعرفها حاول أن يتذكر من أين ولكن ذلك لم يشغل باله أكثر من تصرفاتها فكانت تراقص شاباً من عمرها وسط مجموعة كبيرة وتتضحك معه وتتمايل بطريقة صارخة، كم يكره هذا النوع من الفتيات أدار وجهه بعيداً ولكنه سمع من ينادي باسمه، فالتفت فإذا به صديقه ويا لحسن الحظ يجلس مع نفس الفتاة والفتى ضغط على نفسه وذهب ليسلم على صديقه الذي عرفه بالنهاية بالفتاة قائلاً:

- أما تلك فهي نهير مذكور أجمل فتاة بالنادي كله.

- أهلاً..

اكتفى أمير بهزة بسيطة من رأسه ولم يكلف نفسه عناء مد يده ليسلم عليها كما تقتضي أصول اللياقة، فهو لا يستطيع مجاملة من يكرهه أبداً.

نظرت له الفتاة متعجبة من طريقته المتعجرفة وقالت بكبرياء:

- إن لم ترغب بالتعرف فلا داعي لإطلاقا، لكني لن أسمح لأحد بأن يتحدث معي بمثل تلك العنجهية.

وسارت مبتعدة تلاحقها نظرات الدهشة من أمير، الذي قرر أنه لن يتنازل لهذه المتكبرة التي أخرجته أمام الجميع عن حقه مطلقا، لكنه ابتسم ساخرا ولم يشأ أن يظهر دواخله كعادته دوما، وقرر الاستمتاع بصحبة أصدقائه.



سيقتله القلق عليها، ولكنه لن يهاتفها الآن ستركها تهدأ عليها تقلع عن فكره الطلاق المجنونة تلك فهو لا يستطيع العيش بدونها إنها روحه وحياته ابنته وحببيته وعشيقته كل شيء له، ودائما ما كان يخبرها بذلك فطيف ذكرياتهما معا شريان نابض طالما بجسده حياة، فيذكر الآن عندما سألته ماذا تعني له كانوا وقتها يتمشيان على شاطئ الإسكندرية برماله الناعمة وكان بيده زجاجة مياه صغيرة فحركها أمامها بالعرض قائلا:

- أترين تلك المياه، كم هي رقراقة، بداخلي وبداخل كل شيء، ليس لجسدي الفاني حياة بدونها، أنت مياهي ولا أستطع العيش دونك.

ابتسم حزينا متذكرا اتساع ابتسامتها وبريق عينيها وارتعاش شفثيها كادت أن تحتضنه لولا خلجها فابتعدا عن بعضهما ضاحكين لفهمهما نظرات بعضهما البعض.

نهض من فوق الأريكة فالنوم لن يتمكن منه بأي حال، قرر ارتداء ملابسه والذهاب إليها، قد تكون هدأت قليلا فتستمع إليه.

عندما وصل للمرسم طرق الباب كثيرا لم يفتح أحد، ففتح بالمفتاح الذي أصبح معه وهاله ما وجد أكواب مكسورة وغلاية المياه ملقاة أرضا كما أدوات الرسم والألوان والكرسي الخاص بها وأكثر من لوحة كلهم يفترشون الأرض الباردة، منهم لوحة حديثة لم تجف بعد فرفعها ليدقق النظر لما بها، وجدها قاتمة للغاية وكنيية وحادة أعاد وضع حامل اللوحة ووضعها فوقه، لماذا فعلت كل هذا، أتلك التي كان متخيل أن يجدها هدايا، التقط هاتفه ليحدثها لكنه وجده مغلقا، ستقوده لجنونه حتما.

أين يجدها وأين يبحث عنها، برق في عقله مكانان لا ثالث لهما الكورنيش أو شاطئ البحر، انطلق إلى الكورنيش لأنه الأقرب.

بعد ساعة من البحث عنها وجدها أخيرا تقف بعيدة عاقدة ذراعيها، تتحرك أناملها لتمسح دموعها ثم تعود لتستكين متربعة مرة أخرى على صدرها.

مسح بيده على رأسه عليها تهدأ من ضخ الذكريات، كم يتمنى لو تخدعه عيناه فيرى ابتسامتها أمامه حقيقة بدل دموعها، حاول أن يحدثها بهدوء عندما قال:

- لماذا هاتفك مغلق؟

ظلت صامتة قليلا ثم قالت:

- لا أريد التحدث مع أحد.

- أو تعلمين منذ متى أبحث عنك؟ منذ ساعة، تفضلي معي للمنزل.

سارت أمامه بعصبية واضحة لم تهدأ حتى عندما وصلا إلى بيتها فقال لها:

- اهدئي قليلا، أرجوك.

نظرت له حانقة وهمت بدخول غرفتهما فلقحها إلى الداخل فقالت له
بحدة:

- تفضل بالخارج لو سمحت، أود تبديل ملابسني.

تلاعبت نظرة جزلة باسمه في عينيه وجلس بكل أريحية على الفراش
وتمدد قائلا:

- بدليها!

- يا الله!

- يمكنك اعتبار البيت بيتك وأنا مثل زوجك.

اعتدت ابتسامتها على فمها واحتلاته، ولكنها أدارت وجهها عنه، فتحت
خزانة ملابسها، أخذت ما تريد وتوجهت للحمام، رفع حاجباه دهشا من
تصرفاتها، كان قد استبدل ملابسه هو الآخر عندما عادت لتعلق ملابسها
بالخزانة، توجهه إليها يجب أن يضع حدا لتصرفاتها تلك فقال بهدوء
مخيف مستندا بيده على الدولاب كي يحاصرها:

- ما حدث منذ قليل لن يتكرر، غلقك لهاتفك واختفاؤك كما فعلت اليوم
لن يتكرر، وأيضا نومك بمفردك هنا وأنا بالخارج لن يتكرر، لا أحب
ذلك وتعلمين هذا جيدا.

نظرت له حانقة فعيونه الصقرية أحيانا تخيفها، ومع ذلك قالت ناظرة
بعيدا عنه:

- ولأنك لا تحبه أمن المفترض أن يخيفني هذا!؟

تبسم ساخرا:

- نعم، من المفترض أن يخيفك.

نظرت له مذهولة واندفعت خارجة لاجرة المعيشة، يسخر منها وهي تكاد تموت قهرا، جلست واجمة لا تدري ماذا تفعل حياتها تنهار خلفها وهي مثل المحكوم عليها بعدم النظر للخلف.

شعرت به يجلس بجوارها يضع يدا حانية على شعرها ثم لامس ظهرها برفق، شعر ببشرتها الناعمة ترتعش للمسته فجذبها من خصرها بين ذراعيه، لم يعد باستطاعته إبقاءها بعيدة عنه أكثر من ذلك، أما هي فقد ضمت يدها أمام وجهها وتكورت بحضنه الذي تعشقه وتهواه، شعرت به يمسد على ظهرها وشعرها فبكت أكثر واهتزت من شدة بكائها فما كان منه إلا أن يحتضنها أكثر، حنانه ورقته تلك تذيب جليد مشاعرها وتجهز على أي تردد فلم تفكر عندما رفعت يدها لتحضنه بقوة وتلف ذراعيها حول رقبتة متشبثة به لينجيهما من حيرتها وخوفها، فكم اشتاقت إليه يوم واحد في البعاد يبدو كألف عام، بينما رقصت مشاعره طربا لهروبها بين ذراعيه كطفلة تحتمي بحضن أمها، كم تاقنت نفسه للجوئها الآمن بين ذراعيه فألصقها بنفسه أكثر وأكثر وظل ينلمسها برفق ليؤكد لنفسه أن وجودها بأحضانه حقيقة لذلك همس في أذنها ليثبتها لها ولنفسه قائلا:

- حبيبي، اهدئي لأجلي أنا، لأجل حبنا، لا تخشي شيئا وأنا بجوارك، أحبك جدا ولن أتركك أبدا.

ظلت تبكي بين ذراعيه لا تعلم ماذا تفعل غير ذلك، كم هي ضعيفة واهنة بين أحضانه، وكم تكرهه ذلك وتحبه في نفس الوقت، استمر بكائها حتى داخت ونامت فرفعها بين ذراعيه كفراشة رقيقة يحميها من هول الأمطار وأدخلها للفراش.

ذلك المتعجرف ماذا يظن نفسه كي ينظر لها ويتحدث معها بهذه الطريقة هي التي يجري خلفها ويتودد إليها كل من يراها..

- (نونا) ماذا بك؟ لمَ هذا الصمت!؟

انتفضت من وجومها على صوت صديقتها فردت قائلة:

- لا شيء .. never mind.

- حسنا، ألن تأتي معنا رحلة العين الساخنة؟

- لا أعلم الآن، سأخبرك غدا، يلا see you.

سارت نهير مذكور بلا هدف واطعة سماعات الهاتف الكبيرة بأذنها ولا تشعر بأي شيء حولها حتى فوجئت بطفلة صغيرة ترتطم بها بعجلتها الصغيرة لحقتها قبل أن تقع ووجدت فتاتين تجريان للطفلة إحداها خائفة عليها للغاية يبدو أنها أمها، فاعتذرت لهم نهير بينما قالت الطفلة بكل براءة:

- ماما تلك الفتاة لحقت بي قبل سقوطي.

ابتسمت أمها وشكرتها بينما بدت الأخرى أنها تعرفها وعندما علمت اسمها ضحكت متعجبة من صغر الحياة، وأخبرتها ببسان أنها تعرفت عليها بفرح أختها حيث إن أباهما أحضر بوفيه الفرح من مطعمهم وعزمها هي وأخاها بحفل الزفاف فهو يحب أخاها للغاية لالتزامه وكفاحه، ابتهجت نهير جدا برفقة داليا وببسان، كم تفتقد إحساس أن يحبها أحد دون مصلحة، فكل من تعرفهم لا ترى بعيونهم نظرة حب وصداقة حقيقية ولكن كلها مشاعر مزيفة من أجل مصالح ليس لها قيمة.

ضحكوا سويا ودعتهما داليا للغداء مع عائلتها ولكنهما اعتذرتا، جلسن يتجاذبن أطراف الحديث حول الموضة وأحدث الفساتين والحفلات الصيفية والرحلات، وجدتها نهير فرصة لتخرج من فوهه مزاجها السيئ التي حشرت بها بسبب هذا الشاب المتعجرف..

- أخبركما شيئاً، يوجد رحلة للعين الساخنة بعد أسبوعين من الآن، ما رأيكما أن تأتيا معنا، نحن (جروب) كبير، ستفرحا معنا كثيراً.

تحمست بيسان للغاية لتلك الفكرة، فهي فرصة ليستعيد نادر نشاطه وتجتمع مع عائلتها كلها كما كانا من قبل، تفقد ذلك الإحساس حتى إنها تفقد قربها من ليلي، وبعد ما حدث لنادر تبدل ضيقها منه لحب كبير لا تدري كيف هبط على قلبها، عندما ذهببت اليوم صباحا مع أبيها للاطمئنان عليه ووجدته هكذا لا حول له ولا قوة لا تدري لم شعرت أنها على أتم استعداد لإسعادة بثتى الطرق حتى تعود ضحكته المشاكسة تملأ الفيلا مرة أخرى، كما اشتاقت كثيرا لحضن ليلي وتعبت من فترة الجفاء تلك، فستكون تلك الرحلة مجرى مائيا جديدا يروي علاقة حانية هي تحتاج إليها بشدة.

كان تحمس داليا مقارب لتحمس بيسان ولكن يغلفه حزن فهي لا تعلم إذا كان إبراهيم سيتمكن من اغتصاب إجازة من عملة ليقضي بضعة أيام معهما أم لا، باحت بمكوناتها لصديقاتها الجدد فأخبرتها بضرورة المحاولة باستماتة حتى تفوز بتلك العطلة قبل أن تتعطل مشاعرهم من كثرة العمل.

بينما أخبرتهم نهير مازحة أن عليهما القدوم معها فقد ملت صحبة أصدقائها القدامى ضحكتا معها، بينما انطلق رنين هاتف بيسان الجوال فكان أمير يعلمها بوصوله ويبحث عن مكان تواجدها، فأرشدته إلى مكانهما، بينما سألتها نهير لم حضر بنفسه ليأخذها أليس معها سيارتها

الخاصة، فضحكت بيسان وأخبرتها أن أخاها يخشى عليها للغاية ولذلك معظم الوقت هو معها أو السائق بالسيارة، لم تعقب نهير على كلامها فهي تكره الرجل الشرقي المتسلط الذي يعتبر نفسه له الحق بالتدخل بحياة الأخت أو الزوجة أو الابنة لمجرد أن يثبت أنه رجل.

وصل أمير إليهم وتعجبت بيسان من حفاوة إبراهيم في استقباله فبدا أنهما يعرفان بعضهما البعض من قبل وليس فقط منذ دخول نادر المشفى وما أثار دهشتها أكثر عندما قال:

- كيف حالك أمير، وكيف أصبح نادر وعمي مراد، أرسل له سلامي الحار.

- سأخبره بالطبع يا دكتور، أبي يحبك للغاية ويعتبرك مثلنا تماما ولكنك تعلم مشاغله ومشاكل الشركة.

تبسم إبراهيم بحياء نادر قائلاً:

- نعم، طبعاً، وربي يعلم كم أحبه وأحترمه.

ذكرت بيسان نفسها أن تسأل أمير عن ذلك وتجعله يروي عليها كل ما يعرفه عن إبراهيم، ثم أكملت التعارف لتذكره بنهير التي تعجب من وجودها ولكنه لم ينظر إليها أو يظهر ذلك، عندما أخبرته بيسان أنها أخت خالد مذكور صاحب المطعم الشهير، حينها فقط تذكر هذا الوجه الفاتن الذي أدار عقول كل أصدقائه بفرح أخته كما تذكر فستانها الفاضح الذي نال الكثير من المديح على الجسد المصبوب بداخله، لاحظ الوجوم على ملامحها لم يبال أو يكلف نفسه حتى عناء التسليم عليها والتفت لداليا مرحباً ومازح الطفلة الجميلة شهد.

ومع تبادل الكلمات ارتفعت ضحكاتهم عاليا مع اندماجهم في المزاح
سويا، ووجدتها بيسان فرصة رائعة فقالت:

- ما رأيك يا دكتور سوف نأخذ منك داليا وشهد إلى رحلة بالعين
السخنة.

قال أمير بتعجب:

- نعم، من سيأخذ من؟!!

قالت بيسان بحماس ومرح:

- سأخبرك يا أمير نهير أخبرتنا عن رحلة للعين السخنة، وتلك الرحلة
تابعة لمجموعة كبيرة من أصدقائها ولكنها أخبرتنا سرا أنها ملت
صحبتهم وتريدنا معها..

ومالت عليه قائلة بخفوت ومزاح وكأنه سر.

- أما داليا وشهد فلهم كثير جدا لم يذهبوا بإجازة ونريد أن نلقي بشهد في
المياه قليلا، وأنا..

قاطعها قائلا بمزاح:

- وأنت عائمة مع الموجة طبعاً.

ضحك الجميع حتى نهير التي حاولت أن تكرهه أكثر ولكن دون
جدوى، بينما قال إبراهيم بخجله المحبب:

- وأنا أليس لي مكان؟!!

- يا ليتك توافق وتأتي معنا، حتى نطمئن أن معنا طبيب متنقل.

انفجروا ضاحكين بينما قالت داليا وهي تمسك بيد زوجها:

- يا حبذا يا حبيبي فأنت لم تأخذ إجازة منذ فترة كبيرة.
 - فعلا أنا وأنت نحتاج لتلك الإجازة بشدة حبيبتي.
 - لا يجوز هذا، عليكم مراعاة مشاعرنا فنحن عازبات.
- كانت هذه نهير تتحدث لأول مرة منذ حضر أمير، نظر لها متعجبا ومن هذا الذي كانت ترقص معه هكذا إذن، لا يعلم أصلا لم هو مهتم تفعل ما تفعل لا يخصه، سمع بيسان تقول ضاحكة:
- نعم يا نوني أنا وأنت سويا.
- ثم التفتت إليه متسائلة:
- ما رأيك أمير؟ أريد الذهاب معهم، تعال معنا أيضا وليلى ونادر وأسر وبشرى، ما رأيك؟
 - متى تلك الرحلة؟
 - بعد أسبوعين.
- التفت إليها لأول مرة ينظر لهاتين العينين عسليتين واسعتين تغرق بها من ينظر إليهما تبتلعه أمواجها تحتويه وتلمس كل جزء بداخله ثم تلقي به خارج حدود جنتها على شاطئ رملي جاف بعيد كل البعد عن الدفاء الذي كان يحيط به داخل جنة عينيها منذ لحظات وذلك عندما أدارت وجهها بعيدا فلم تتحمل هي الأخرى لهيب النار في عينيه البنديتين.
- كادت يده تحطم هاتفه الجوال من الضغط عليه، حاول التفكير بسرعة ولكن لم يتمكن فرد قائلا بعجالة:
- حسنا، سأرى مواعيدي.. هيا بوسي لقد تأخرت.

سارا مبتعدين بعد أن سلموا على الجميع بوعد لقاء قريب وتواصل دائم
هاتفيا وعلى مواقع التواصل الاجتماعي.
وعند البعاد كادت قلوب ترتعد من رهبة دخول زائر جديد.

الفصل الخامس:

وصل أمير شركة والده ومقر عمله فهو نائب رئيس مجلس الإدارة بها
ومسئول عن أغلب القرارات، توجه إلى مكتب والده ومديره ليناقدش معه
صفقة حديثة جار العمل عليها حيثه السكرتيرة وقال متسائلا:

- الباشا متفرغ يا رباب؟؟

- نعم يا فندم تفضل.

حياها بيده ودخل مكتب والده، كان يتحدث في الهاتف وأشار لأمير
بالجلوس مستكملا مع من يحاوره:

- أمتأكد من هذا الكلام ده يا حضره الطابط؟

.. -

- نعم، نعم، أكيد طبعا.

.. -

- أترى أن علي القيام بأحتياطات أكبر؟

.. -

- نعم بالطبع، لكن أرجوك أعلمني بأي تطورات تجد، وأنا من ناحيتي
سأعين طاقم حراسة وسأشرف على كل شيء بنفسي.

.. -

- أكيد طبعاً، دمت لنا بخير يا حضرة الضابط، أشكرك كثيراً، في حفظ الله.

تعجب أمير من هذا الحوار المريب وسأل والده على الفور:

- ماذا يحدث يا أبي خيراً؟

قطب مراد جبينه وقال بغضب مكبوت وبسرعة كأنه يلقي بذلك الحمل عن كاهليه قبل أن يتراجع:

- المباحث اكتشفت أن أخوك نادر تسمم بفعل فاعل وليست مجرد حساسية.

اتسعت عينا أمير ذعرا وانعقد لسانه عن الكلام فلم يتمكن من النطق سوى بعد دقائق فتساءل وقد انتفخت أوداجه عنمن قد يسمم طفل مثل نادر ولماذا، فتبسم مراد ساخراً:

- أنا من كنت مقصوداً.

لكن نادر أكل من طبقه بالخطأ بعد أن تركه مراد وقام مسرعاً ليرد على هاتف، بعيداً عن صخب أغاني عيد الميلاد، استشاط أمير غضباً، ففكرة فقد والده أو أن هناك من يحاول أن.. أن يقتله، إنه حتى لا يجرؤ على ذكر الكلمة فبدت مريعة أفرعه تصورها، حاول والده تهدئته وبث الطمأنينة بداخله ولكن هيهات، فعندما يقترب الخطر من أقرب من لديك، أغلى الغوالي، تفقد كل هدوء وتعقل، والخطر هنا لا يحرق بوالده فقط بل بالعائلة كلها، فكما قال مراد إنهم يواجهون قاتل أغشم، وهذا النوع أخطر من القاتل المدرب، فهو لا يهمله إذا عرض حياة أي شخص آخر للخطر في سبيل الوصول لهدفه، فقد وضع سما قاتلاً في طبق به قطعة قالب حلوى بمنزل به أطفال وناس آخرين، فكما قال ضابط المباحث إن القاتل

قد يكرر المحاولة مرة أخرى ولن ندري متى أو كيف وهل سيكون مراد هو الهدف القادم أم سيصاب أحد آخر من أهل بيته.

تناقشا لساعات في من قد يكون وضع سما بطبق مراد، كل من كان بحفل عيد الميلاد أقاربهم أو صغار في سن نادر، كان أمير مبهوتا من تلميح والده الصريح بأنه قد يكون أحد الحاضرين هو من وضع سما كهذا خاصة أن الأطباء قالوا أنه مجرد مبيد حشري يوجد بكل منزل تم رشه بكمية كبيرة على الطعام، استشاط أمير غضبا ولم يعد يدري من قد يكون افتعل تلك الجريمة، ثم هتف كأنه وجد مخرجا:

- ألا يمكن أن يكون من مطعم مذكور، عامل التوصيل أو أي أحد في المطبخ عندهم؟

- لا طبعا، لأن هذا السم وضع بطبقي أنا فقط، ومع ذلك خالد صاحب المطعم يجري تحقيق وأوقف كل من كان له علاقة بطعام الحفل عن العمل، كما أن المباحث تتابع معه فلو حدث شيء سنعلم بالتأكد.

وأكمل قائلا:

- ما أريده منك الآن أن تأخذ إخوتك وليلي وتذهبوا أي مكان فيلا الساحل الشمالي أو حتى فيلا التجمع، وسأعين لكم حراسة مشددة فمن فعلها مرة سيفعلها ثانية طالما المحاولة الأولى فشلت ومازلت حيا.

أنهى كلامه بابتسامة حزينة تقطع لها قلب أمير الذي نهض واقفا بجواره وأحاط كتفيه بذراعه قائلا:

- أبعد الله عنك كل شر يا أبي لا تقل هذا أبدا، ولا تخش علينا، فكل الخوف عليك الآن.

نهض مراد ووقف قبالة قائلا بجدية وحزم:

- لا، لا بد أن أخشى عليكم بالطبع، سنتفد ما قلته تأخذهم جميعا بعيدا عن هنا ومعكم الحراسة وأنا أيضا سأعين حراسة معي، لكنني أود أن أكون مطمئنا عليكم حتى أتفرغ لإيجاد ذلك الوغد.

- أبي، أنا لن أتركك بمفردك أبدا.

- أوتترك أخواتك بمفردهم إذن؟

- أسر معهم.

- لا طبعا، أنتركه بمفرده؟! كما أنه لن يعلم لن نخبر أحدا منهم على الإطلاق حتى ليلى، وبذلك سيكون تركيز أسر كله منصب مع بشرى فلا تنس أنهما لايزالا حديثا الزواج، كما أنني لن أطمئن إلا وأنت معهم.

- أبي..

- أمير الموضوع منته، دعني فقط أفكر كيف سنقنع أسر بترك عمله والسفر معكم.

- ولماذا يتوقف عن عمله! انقله لمصنعنا بالساحل.

جلس مراد على كرسي مكتبه مرة أخرى قائلا بعصبية:

- وكيف أنقله؟ إنه لا يعمل بمصنعنا من الأساس وأنت تعلم.

عاد أمير هو الآخر وجلس قبالة قائلا بهدوء:

- نعم أعلم، لكنها محلولة أيضا أخبره أن مصنعنا بالساحل يحتاجه وأنت تريده كعين لك هناك فلن يرفض إذا شعر بحاجتك له ولن يرفض أي مساعدة يقدمها لك خاصة إذا أخبرته أن ذلك وضع مؤقت، وسيكون بالقرب من فيلا الساحل فيمكنه المرور والمكوث مع بشرى.

نظر له مراد بعمق ثم قال:

- نعم، أظن هذا حل جيد، سوف أرتب كل الأمور ثم أخبره، وسوف أنسق مع مديره كي لا توجد أي أعذار، وأنت عليك إخبار ليلى وإخوتك.
- متى تريدنا أن نساfer؟

- في أسرع وقت يا أمير، أسرع وقت، بمجرد الاتفاق مع شركة حراسة جيدة ستسافرون فورا، تقريبا من أسبوع لاثنين.

بهت أمير من هذه السرعة وأراح ظهره على مقعد المكتب الوثير متفكرا فيما سيحدث في الأيام المقبلة.



مر أسبوعان وهي على بكائها الصامت وهو على تقلب مزاجه فتارة يريجوها أن تنسى وتارة أخرى يتعب من عندها الصامت فأحيانا يعود للمنزل مبكرا ويخلد للنوم دون أدنى كلمة وأحيانا أخرى يعود مع نسومات الفجر الباردة، وأوقات يتقرب منها محاولا بثها حبه واسترجاعها ويخبرها مرارا أن إصرارها على الانفصال حتى لا تجتمع بوالدته ليس منطقيا إطلاقا فأمه نفسها بعد أن سمعت بشرى كل شيء لن تحاول أن تراها مرة أخرى أو تدخل بيت عائلتها ولكنها بالنهاية ستظل أمه وهو فقط من سيزورها وكي يطمئن أيضا على ريم أخته.

الليلة لم يعد للمنزل حتى الآن شارفت الساعة على الرابعة والنصف فجرا، يجافيه النوم، عيناها الحمقاء تأبى أن تغفو وهو بعيد عن ناظريها، ظلت تنقلب بفراس من نار تأكلها بلا رحمة، قررت أن تصحو لن تحاول النوم طالما يعاندها هكذا لن تنال سوى صداع رهيب فلتظل مستيقظة إذن، اعتدلت جالسة وتناولت هاتفها لتتابع مواقع التواصل

الاجتماعي والفييس بوك، وجدت نفسها لا إراديا تدخل إلى صفحته الشخصية وتستعيد رسائل حبهما، ظلت على نفس الحال حتى داعب النوم جفونها المرهقة.

فجأه أفاقت لتتظر بالهاتف إنها السادسة صباحا ولم يأت بعد، انقبض قلبها بقوة وتنازعتها الأفكار، خافت أن يكون حدث له مكروه فتحت هاتفها تحادثه اتصلت ثلاث مرات ولم يرد ألقت بالهاتف ووضعت الوسادة فوق رأسها تقاوم هتافات قلبها المنقبض وعقلها المرهق.

لم تشعر إلا بذراعيه تحيط بها وتجذبها لحضنه بقوة وتتهيدة طويلة منه وهو يستنشق رائحتها التفتت إليه قائلة بنعاس:

- كم الساعة الآن؟ متى أتيت؟

- حضرت للتو، إنها الثامنة صباحا.

قطبت جبينها هامسة:

- الثامنة صباحا! أين كنت كل هذا الوقت؟! طلبتك كثيرا ولم ترد على الهاتف!

ابتسم وأغمض عينيه ضامًا إياها إليه أكثر متملسا كل جزء منها اشتاقه كثيرا في البعاد الأليم وهمس قائلا:

- أيمكنك احتضانني حتى يغمرني النوم ورائحتك التي اشتقت لتخللها ثنايا روحي؟ اشتقت لكل قطعة منك لملمس جسمك الناعم بين يدي لنظراتك إليّ لهمساتك بحبك لي، اشتقت لاشتياقك إليّ ولهفتك عليّ وأحتاجك بشدة.

- لكن أنا..

أسكتها بقبلة طويلة عميقة أودعها كل شوقه وحزنه ولهفته عليها قاومته في البداية ولكن اشتياقها تغلب عليها وقلبها الملتاع حثها على الالتصاق به واحتضانه أكثر وأكثر.

استيقظ أسر في صباح اليوم التالي على صوت هاتفها المحمول، حاول تحريك ذراعه ليسكته ولكن ذراعيه كانت تحيط بها نظر إليها نائمة في حضنه بكل براءة، ابتسم لأنه يتوقع عاصفة تند وداعتها وهدوءها النائم، وذلك لرجوعه في الثامنة صباحا، سكت هاتفها عن الصباح ولكن بعد أن تشبعت عيناه برؤياها تتقلب وتفتح عينيها، تمطعت بين ذراعيه وبابتسامة رائعة وصوتها الناعم الذي صبغ عليه النعاس جمالا من نوع آخر، ألقنت عليه تحية الصباح، وبكل حبة واشتياقه لها الذي لا يخمد صبح عليها وغازلها وهو يداعب شعرها الذهبي.

كما توقع تماما، فجأة قطبت جبينها وهي تضرب بكفها الصغير جانبه متسائلة عن مكانه بالأمس ولماذا لم يرد عليها،

حاول كتم ابتسامته لقد اعتاد جنونها وتقلب مزاجها المضحك فهي تشبهه كثيرا بتلك الانقلابات وقال بجدية:

- حبيبتي أوليس من الأفضل أن نستفيق ونتناول فطورنا، ثم بعد ذلك تستجوبيني كما يحلو لك، الأهم ثم المهم يا حبيبتي.

احمرت وجنتاها فبدت رائعة وحاولت إخفاء إحراجها قائلة:

- تعلم جيدا أنني لن أطيق بالا لكل هذا حتى تخبرني أين كنت بالأمس، ماذا سيضريك أن أنت أخبرتي وأرحتني!

- لن أخسر شيئاً بالطبع، لكن يتمكنني صداع الآن ولا أستطيع التحدث بأي شيء جديد.

- ألن تذهب لعملك؟

- لا، فالوقت تأخر كثيراً إنها الحادية عشر ظهراً.

أطرقت برأسها مفكرة ثم قالت وهي تنهض من مكانها لتتوجه إلى المطبخ:

- حسناً، هيا توجه للحمام بينما أحضر أنا الفطور.

ثم التفتت إليه قائلة بوجه خال من التعبير علم منه أنها بدأت تستعيد تكدر مزاجها بعد أن أسكرها بالأمس بحبه:

- وفكر ماذا تحب أن تأكل بالغداء.

ابتسم آخذاً يدها بين يديه ولثم كفها قائلاً:

- لا حرمني الله منك أبداً، لكن عمي مراد هاتفني أمس وعزمتنا على الغداء اليوم.

تبسمت فرحة، ولكن هو وحده من يقرأ ابتسامتها التي تتخلل فرحها هو فقط من لا تنطلي عليه أكاذيب صفحات وجهها المستمرة التقلب، نهض من فراشه جالسا وقربها منه حتى أجلسها على قدميه واحتضن خصرها وعيناه تناجي عينيها بأسرار لا يفهما سوى قلبيهما، فطنت لما يريد أن يقول دون أن يفتح فماً، فانهارت ابتسامتها الكاذبة من على سفح شفيتها قائلة:

- تالله رغما عني.

- أعلم جيدا أنه رغما عنك، كما أعلم أنه لولا حبك لي كنا سنفترق بعد ما سمعته، لكن أقسم لك بربي يا بشرى، فأنا أبدا لم أفكر بأموال أبيك، وأعلم جيدا أن ما قالتة أُمي أو هام برأسها هي فقط لأنني تأكدت من صحة ادعاءاتها من عمي مراد، ولذلك رفضت رفضا قاطعا أن أعمل بمصانع والدك، حتى عندما تعلمين -وكنت متأكد أن ذلك سيحدث بيوم من الأيام- تكوني واثقة أنني بعدت بإرادتي الحرة عن أموال والدك، كما أنني لم أكن لأقبل بأن أحصل على راتبي من والدك، لقد أوضحت لك كل شيء فأرجوك كفى كلاما في هذا الموضوع فمجرد خوفك وتفكيرك به يهينني أكثر.

اتسعت عيناها ذعرا فهي لأول مرة ترى الحقيقة من هذا الجانب وقالت على الفور بأعين بدأ الدمع يغزوها:

- أنا بحياتي أبدا لا أفكر أن أهينك، لكنني فقط انفعلت كثيرا بعد ما سمعته و..

وصممت لا تدري بما تكمل، طيبة قلبها ستنتهي كل دفاعاته احتضنها قائلا بحب:

- حسنا حبيبتي، أهم شيء الآن أننا سويا، وأنا كفيل بحمايتك من أي أحد حتى ولو كانت أُمي.

تمسكت بحضنه بشدة كالغريق ولم تتمكن من قول أي شيء، وبعد برهه ابتعدت قليلا قائلة بابتسامة صافية رأى فيها أخيرا ما كان يبحث عنه حبها الآمن له:

- سأذهب لتحضير الفطور.

- أحبك.

تيسمت ممتنه له فهو الوحيد القادر على بث الطمأنينة في قلبها كما سيتمكن من نزعها وبكل براعة.

- نعم، ولماذا الساحل الآن تعلم جيدا أنني أريد الذهاب مع أصدقائي بالسخنة.

- من هم أصدقائك الذين لم تلتقي بهم سوى من أسبوع فقط!

- يا الله منك!

بعد هذا النقاش الحاد ابتعدت بيسان متجهة إلى غرفتها، نظرت بشرى إلى أمير وحاولت إقناعه بذهاب بيسان مع أصدقائها وتأجيل سفرتهم سويا للساحل الشمالي، حاول إقناعها بهدوء حتى لا تشك بالأمر وأخبرها للمرة الثانية أنه لا بد عليه هو وأسر استلام العمل بمصنعهم بالساحل والتواجد به باستمرار بسبب حدوث مخالفات كثيرة وخسائر ستجابههم كوحش مفترس إن لم يتم احتواؤها فورا، ثم أضاف ممازحا إياها:

- فقلت نعمل نحن وأنتن تغيرن جو، أخطأت أنا عندما أردت أن الترفيه عنكن وأيضا سيكون أسر بجوارك، أم تفضلين عزل القوات؟

أطلقت بشرى ضحكة عالية وهي تضرب بكفها كتف أمير، وشكرته بمرح لكرم أخلاقه ورقة قلبه لأنه لم يبعدها عن زوجها وحببيها، ثم طلبت منه أن يسمح لبيسان أن تدعو من ترغب من صديقاتها معهم فالفيلا هناك كبيرة وتكفي أشخاصا كثر، وافق مضطرا ولا يدرى لما غزا التوتر قلبه وهو يتصور من الذين ستدعوهم أخته، سمع بشرى تصيح بأنها ستدعو رضوى صديقتها هي الأخرى، ثم همت باللاحق بأختها لإخبارها وإقناعها بما جد، ولكن قبل ذلك سألتها:

- ماذا يفعل أسر وأبي كل هذا بالمكتب؟

- ينظمان متطلبات العمل بالمصنع هناك، لا تشغلي بالك.

نظر أمير أمامه وجد ليلى الصامته منذ أعلن عن رحلة الساحل تلك، كانت تنظر إليه واضعة ساقا فوق الأخرى وتستند بذقنها على كفها شاخصة إليه نظرات نارية، حاول تجاهلها ولكنه لم يتمكن فقال بعصية مضحكة:

- ماذا هناك، لم تنظرين إلي هكذا؟!!

ظلت على صمتها وعيناها الفاحمتان مثبتتان عليه، مما جعله ينهض من مكانه ليبتعد عن رصاصاتها، فأثنته عن ذلك وأمرته بالجلوس جوارها قائلة بصرامة جعلته يمتثل لها فهو دائما يضعف أمامها كالطفل أمام حلواه المفضلة وليلى كانت وستظل أفضل حلوى قد يحصل عليها طفل يتيم فقد أمه:

- تعال هنا بجواري وأخبرني ما لم تقله لأخواتك.

- أجلس بجوارك نعم، لكن ما هذا الذي لم أقله لأخواتي؟

- الذي يخفيه عني والدك يا أمير.

مازحها أمير متسائلا كيف أخبرك بما لا أعلمه، لانته نظراتها وضعف صوتها وهي تحلفه أن يخبرها بما يجري فهي تخشى على مراد كثيرا وتوقن أنه يخفي عنها شيئا ما، فهي تعرفه كما تعرف نفسها تماما وأكثر، بل أحيانا قد لا تعرف أنفسنا ونتوه عنها تفاجئنا بطباعها ولكن من نعشق يكونوا دائما لأعيننا كالماء الرقراق، أخبرته كم كانت تحب والده حتى قبل أن يتزوج أمه، فقد كانا جيران ويرتادان نفس الجامعة ولكنه كان يكبرها ولأنه لم يكن لهم أخوات فقد التجأ لبعضهما فعشقتة هي حيث

كان حاميتها وسكنها وأحبها هو كأخته التي لم تكن وكاتمة أسرارها، كانت هي أول من أخبرها بحبه لأمه، كم فرحت له والتوى قلبها بداخلها حزنا على نفسها، حتى بعد أن تزوج وأنجب وتزوجت هي أيضا ظل قلبها يحمله بداخلها كنزا ثمينا تخبئه عن العالم، عندما باء زوجها بالفشل لعدم إجابها، ثم توفت أمهم وكان الأقدار تسوقهما لبعضهما من جديد، لم تتمكن غير الوقوف بجواره كسند وعون وراعية لأطفاله وصدر حانٍ يبكي عليه فقدانه لأخرى فتبكي معه حزنه وتبته الصبر والسلوان، إلى أن أتاها في يوم وأخبرها أنه لن يتمكن من النوم بعيدا عن صوتها وعينها وذراعيها الحانيتين عليه وعلى أبنائه، كم كانت فرحتها عظيمة، فقد عشقتهم كما تعشقه فهم قطعة منه وأصبحوا قطعة من قلبها، وكم يؤلمها أن تراه هكذا يحملهما كبيرا ولا يبوح به ومهما أنكر فهي لن تصدق.

احتضنها أمير وكيف يفعل غير ذلك وهي بكل هذه الوداعة والحنان، حاول طمأنتها بكل الطرق قائلا:

- لن أكذب إحساسك، لدينا مشاكل كثيرة بالعمل، تهدد الشركة والمصنع، ونحن نحاول التغلب عليها، وإن شاء الله نخرج من تلك المحنة أقوى، لكن أرجوك انفضي نظرة الخوف تلك من عينيك لأنها ستؤرق أبي وتكون حملا آخر فوق كاهله، كل ما عليك الآن هو السفر معهم والاستمتاع بالعطلة وأعانك الله عليهن ونادر.

فلا بد من وجودها لتعتني بنادر فلا أحد يقدر عليه غيرها، أحاطت وجهه بكفيها مرددة:

- حماك الله يا حبيبي.

في نفس اللحظة نزلت بيسان من غرفتها تطير وتقفز على درجات السلم الرخامي الرائع، وجرت إلى أمير وقبلته وشكرته بفرحة كما احتضنت ليلي وأخبرتها أنها سعيدة لأنها ستكون معهم فتبسمت ليلي بفرح فقد مر وقت طويل لم تظهر فيه بيسان حبها لها حتى ظنت أنها عادت تنفر منها كما كانت تفعل وهي صغيرة بالثالثة عندما تزوجت أباهما، وحاولت كثيرا أن تقترب منها وتحنو عليها وتعرف ماذا غيرها ولكن بيسان صلبة كالحديد، وها هي لانت أخيرا من تلقاء نفسها فتبادلوا جميعا نظرات سعادة لتغير أختهم الواضح.

أخبرتهم بيسان بحماس شديد أنها دعت مجموعة من صديقاتها كما دعت عائلة دكتور إبراهيم، وتذكرت ما كانت قد نسيت فسألت أمير:

- لم تخبرني كيف تعرف أنت وأبي دكتور إبراهيم، فيبدو أن علاقته بأبي جيدة للغاية.

فتبسمت ليلي بحزن وغير أمير الحوار تماما وسألها:

- من ستحضرين من صديقاتك؟ أرجوك لا تقولي نهير مذكور.

فضحكت وقالت:

- لن تصدق، فهي أيضا سألت عنك.

ثم قلدت طريقتها الناعمة ودلالها المفرط بدون تعمد مما يجعلها فاتنة أكثر، فضحك الجميع بينما نهض أمير واقفا وهو يقول:

- سأصعد إلى غرفتي حتى ينتهي الغداء.

ضحكت بيسان وجلست مع بشرى تعدان لائحة بما ستحتجانه في رحلتها خاصة أن أمير أخبرهما باحتمال مكوئهما هناك معظم فترة الصيف.

الفصل السادس:

اتسعت عينا رضوى صديقة بشرى وهي تعنفها قائلة:

- لا أعرف ماذا أقول لك حقا، سامحتيه بكل سهولة ويسر، كان لابد أن تتركه أكثر يتعذب ببعذك، كي يعرف قيمتك.

ضحكت بشرى بشدة وقالت:

- أسر ليس مثل كل الرجال، وأنا وهو حالة خاصة.

فقطبت رضوى حاجبيها فهي ترى أن كل الرجال يلتحفون بغطاء واحد تنتستر أسفله الأنانية والبرود والكذب وعدم تحمل المسؤولية والاعتكال دائما وأبدا على المرأة سواء الأم أو الأخت أو الابنة أو الزوجة المسكينة، فلم يثر كلامها تعجب بشرى فهي تعلم تمام العلم كره صديقتها للرجال بعد أن هجرها والدها وهي طفلة صغيرة، عائدا بعد أن شبت على كرهه شاريا ودها بأمواله، كما غدر بها حبيب سابق، فلم تجادلها وحاولت تغيير الموضوع وتضحكا سويا حتى سمعا طرقات بباب غرفة الفتيات بفيلا الساحل حيث وصلا منذ يومين فتحت بشرى لتجد أسر يقول بابتسامته الجذابة:

- أرجو معذرتك يا رضوى، سأخذ منك بشرى فالיום إجازتي وقد اشتقتها كثيرا.

وكان ينظر لبشرى بحب، فقالت رضوى:

- نعم بالطبع، تفضلا.

وخرجت معه بشرى سعيده وهي تنظر لرضوى لتقول بعينها أرأيت،
ولم تكن تعلم أن هذه النظرة ستزيد من احتراق صديقتها داخليا.

سحبها أسر من يدها إلى خارج الفيلا كلها متوجها إلى شاطئ البحر
الممتد أمامهما برماله رائعة الصفرة تعانقه مياه زرقاء زرقة نادرة، قال
أسر وهما يسيران متشابكين:

- أتعلمين، لا أحب تلك الرضوى أبدا.

- حرام عليك يا أسر إنها طيبة وتحبني ودائمة النصح لي.

- أنا لا أخشى سوى من تلك النصائح.

أطلقت بشرى ضحكتها الرائعة من طريقته الساخرة فقال هو على
الفور:

- يا إلهي كم ضحكتك رائعة لدرجة أنني أريد أن أخفيها فلا يسمعها أحد
غيري.

- حاولت كنتم ضحكتها وهي تقول:

- أتغار علي؟

نظر لها نظرة جزلية تغازلها قائلا:

- أغاز عليك من بعضي ياكلي، أغار من ملابسك التي تحول بيني
وبينك لبيل شتاء عاصف، أغار عليك من أعين تلتهم حلاك فلا أقدر
على نزعها أو اللوذ بك بعيدا فارا عن كل الاعين، أغار عليك حد
التألم، حد وجع يقتلع قلبي من بين أضلعه اذا رأيت شمسك اللؤلؤية

تشرق لغيري، حد تحول عقلي ركاما عاجزا عن أي تفكير سليم، اغار وأخاف عليك لدرجة أنا نفسي لا أستطيع تخيلها او وصفها.

ألقت بشرى بنفسها بين ذراعيه احتضنها بشدة، فكم يرتاح وهي بين ذراعيه هكذا، سمعها تقول:

- أحبك بشدة أسر، أحبك بشكل مرعب.

ابتعدا ضاحكين على تعبيرها وظلا يسيران على الرمال الناعمة كمشاعرهما.

لم يقاطع مناجتهما سوى حضور بيسان تمازحهم كعادتها وتطلب من أسر أن تأخذ بشرى لساعتين ليذهبوا جميعا إلى أحدث مركز تجميلي أخبرتهم عنه نهير، فأعجبت بشرى بهذا الاقتراح كثيرا وتحمست للذهاب معهم، ولكنها سألت أسر أولا فاليوم إجازته ولا تريد أن تتركه وحيدا بها، ولكنه شجعها على الذهاب لأنه سيقابل صديقين له أيضا وسينتظر عودتها بفارغ الصبر، فضحكت بيسان وقالت لأسر مازحة:

- سنعيدها لك كالعروس.

فتبسم لبشرى بحب عميق يغتصبه لمحّة حزن لم تدر بشرى سببها أبدا عندما قال:

- ستظل عروسا بنظري دائما.

حارت بنبرة صوته التي كانت ترتعش كفرخ صغير تهاجمه أمطار الشتاء الباردة، ولكنها لم تتمكن من سؤاله حيث أخذتها بيسان مسرعة لتغير ملابسها ويخرجوا سريعا، بيد أنها تمكنت فقط من احتضانه وهمست بأذنه:

- لا أشعر أنك بخير، سنتحدث عند عودتي حبيبي.

ثم غادرت مسرعة ولم تسمعه وهو يتمم بأسى شديد:

- لا أظنك ستحدثين إليّ عند عودتك يا حبيبة القلب، لا أظن ذلك أبدا.

توجهنا إلى داخل الفيلا ليستعدنا جميعا وبعد ساعة تقريبا من الهرج والمرج خاصة الذي تفتعله الطفلة شهد ابنة إبراهيم وداليا، كن كلهن جاهزات، وتركنا نادر وشهد بصحبة أمير وإبراهيم وعليهما مهمة تسليية الطفلين كما قالت بيسان، ففرح الطفلان للغاية وطلبنا أن ياكلنا مثلجات ويركبا دراجات مزينة وملونة فوافق أمير فوراً مقابل أحضان وقبلات غمراه بها الطفلان اللذان يحبانه حبا جما، قال وهو يمازحهما إن عليهم مهمة توصيل الفتيات الكبيرات والعودة لأخذهما وبين ذلك سيلعبان ويمرحان وأخبرهما أنه يعد لهما مفاجآت أيضا، فصاحا بفرح، بينما نظرت نهير لأمير وقالت ساخرة:

- أستأني معنا (السنتر)؟!!

- لا طبعاً، لكنني سأوصلكن لهنالك، وعندما تنتهون أعلموني لآتي وأعيدكن للفيلا أو أي مكان آخر تحبونه.

- أتظننا أطفالاً؟!!

- لا، ولأنكن لستن أطفالاً بل فتيات جميلات وللغاية أيضا فقد تتعرضن لأي مضايقات وهذا ما لن أسمح به أبداً.

- يا إلهي، أنت لا تحتمل بأفكارك تلك، عليك مقابلة خالد أخي سيعجب بكلامك للغاية.

- متى سيأتي؟

- غدا بالمساء.

أصبحت جميع الفتيات جاهزات، فقسمهم أمير علي سيارته وسيارة إبراهيم وأمر الحراس باتباعهم بسيارة أخرى، مما اثار تعجب ليلى ودهشة الفتيات ولكنه أخبرهم أنها مجرد شكليات وقال ضاحكا:

- مثل كل رجال الأعمال.

وتحرك أمامهم متوجهها خارج الفيلا للسيارة بينما سمع نهير تقول بعصبية لبيسان:

- أخوك هذا متسلط بطريقة غير طبيعية بالمرة.

ضحكت بيسان قائلة:

- لقد كان يثير سخطي قبلا مثلك هكذا، حتى تحدثت معي وأخبرني بوجهة نظره ولأصدقك القول فقد أبهرتني.

- ما هي وجهة نظره المبهرة تلك؟

- لا، من الأفضل أن تسمعها منه بنفسك.

فظهر شبح ابتسامة على شفتي أمير، وبينما هما يتحدثان سألت ريم بشرى:

- لماذا لم تأت رضوى معنا؟!!

- متعبة للغاية، آلام بطنها منعتها من الحضور، كانت تتمنى أن تأتي للأسف.

وصلا السنتر الضخم المجهز بأحدث الأجهزة الرياضية، بدأوا باللعب مع المدربة على أجمل نغمات الزومبا وفجأة وبدون أي مقدمات سقطت داليا مغشية عليها، تجمع الكل ليحملوها، حاولوا إفاقتها بدون فائدة مما اضطر بيسان لطلب أمير ليحضر هو وإبراهيم لحملها إلى أقرب مشفى.

- أنت متأكد يا دكتور؟ أرجوك حلل مرة أخرى أو انقلها القاهرة نكشف هناك مرة ثانية وثالثة، ذلك الذي تقوله هو المستحيل بعينه!

- كما أخبرتك يا دكتور إبراهيم التحليل المبدئي يخبرنا باحتمال وجود سرطان بالثدي، سوف نستكمل باقي التحاليل لتتأكد بالطبع، لكنني تقريبا متأكد، وأظن أيضا أنه بمرحلة متأخرة للأسف، واسمح لي لست أدري كيف لم يلاحظ أحد ذلك خاصة وأنت طبيب.

شهقت جميع الفتيات اللاتي كن بجواره للاطمئنان على داليا ومنهن من بدأت بالبكاء، بينما ظل إبراهيم محدقا لوهلة بالطبيب ثم ابتعد قليلا وفجأة ركل بقدمه سلة مهملات كانت ترقد بسلام على جانب الحائط، بقوة صارخا، اندفع إليه أمير ممسكا إياه من كتفيه قائلا:

- وحد الله يا إبراهيم إن شاء الله نتأكد ولن يكون وربما خبيثا وتشفى منه سريعا، وحتى لو احتاجت السفر خارج مصر للعلاج سنفعل ذلك.

نظر إليه إبراهيم بأعين دامعة وصوت متحشرج قائلا:

- داخل مصر مثل خارجها يا أمير أنت تتحدث إلى طبيب، وللأسف لا أدري كيف لم ألاحظ ذلك، كيف، كيف؟

- اهدأ يا إبراهيم، وهيا كي تدخل لتطمئن عليها وتكون بجوارها، وأنا سأعيد الفتيات للفيلا وأعود إليك.

عاد إبراهيم للطبيب مرة أخرى قائلا:

- سوف أدخلها لأخيرها ولكي ترى ابنتها.

- نعم، بالطبع تفضل، والأفضل فعلا أن تجد من يجلس بابنتكما الفترة القادمة لأننا سنبدأ بعمل تحاليل وأشعة لكي نبدأ إعطاءها جرعات الكيماوي.

فاضت دموع إبراهيم عند هذه الجملة الكئيبة لم يتمكن من حبسها أكثر من ذلك وتركها تلهب مقاتيه يكفي احتراق قلبه على زوجته الحبيبة، مسح عبراته سريعا وحمل شهد ودخل لداليا وحدهما.

وبعد عشر دقائق خرج وعيناه منتفختان بكاء، وسلم شهد لبيسان وابتعد مديرا ظهره للجميع، يبحث عقله بين آلاف الذكريات والأيام والشهور متى تعبت داليا، متى حضرته تلك الإغماء، كيف لم يلاحظ أي شيء غريب بجسدها، يتذكر الآن أنها أخبرته بوجود ما يشبه دمل بإبطها ولكنها استخدمت له مرهما موضعيا وأخبرته أنها تحسنت، لماذا لم يجبرها على إجراء تحاليل، لماذا لم يأت بباله أنه قد يكون شيئا خطيرا، طبه ودراسته بم نفعاه الآن، وهو لم يلاحظ مرض أقرب الناس إليه؟! ولكن داليا ليست الأقرب فقط، إنها كل من لديه على الإطلاق، هي الوحيدة التي وقفت بجواره وأمنت به وبقدراته، هي الوحيدة التي تعرف الحقيقة كاملة بالإضافة لمراد وأمير، ومع ذلك تقبلته وأحبه ووافقت أن يصبح زوجها وأبا لأبنائهما، والآن يشك أن ابنتهما الوحيدة ستحصل على إخوة آخرين، لماذا يعانده القدر هكذا، لماذا يستكثر عليه أن يحيا سعيدا بعد سنين من العذاب، لماذا هي التي قد تذهب وليس هو، لماذا.. لماذا، لماذا يذهب فقط الأنقى والأطهر بحياتنا.

ويتركونا نعاني خلفهم ونتخبط بظلمات الوحدة السرمدية تمزق خلجاتنا وتعتصرها حد التهلهل، يتألم كما لو كان مقيدا بكرسي كهربى لا يقوى على الحركة ويتألم بعنف لا يتحمله بشر.



أخذ أمير الفتيات وعادا للفيلا دخلوا جميعا وعلى وجوههم آثار بكاء ووجوم وحزن على الرغم من قلة معرفتهم بداليا، توجهت بيسان بالطفلين شهد ونادر لتفتح لهما التلفاز فيتسليا قليلا جلسوا جميعا معها واجمين بينما خرج أمير على الفور عائدا إلى إبراهيم في المشفى ولم ينس أن يؤكد على الحراسة الخاصة بالوقوف كالأسود على أبواب الفيلا لرعاية الفتيات.

توجهت بشرى لغرفتها لاستبدال ملابسها ومحادثة أسر لتخبره بما جرى، فتحت الباب وقبل أن تضيء النور رأت على الأضواء الخارجية اثنين شبه عاريين يمارسان الحب سويا بقوة وشوق وشغف عنيف، لم تر من هما، كانت الفتاة فوق الرجل لا يشعران بما حولهما وأهاتهما متواليمة وضعت يدها على فمها تعرف هذه الأصوات، نعم تعرفها ضغطت بيدها بقوة على فمها لتمنع صراخ قلبها المذبوح يدها المرتعشة أضاءت النور وعادت لفمها مرة أخرى تكتم صراخها باسمه عندما التفت منتبها للنور، أنهار تسيل من عينيها كالسوط على وجهها وهي مازالت تكتم فمها بيدها رأت ملامحها مهزوزة ملبدة بغيوم دموعها وهي تنهض من فوقه ملتفة بملاءة بيضاء وتنزوي بعيدا بينما نهض هو سريعا وكان لايزال يرتدي سرواله الداخلي، متوجها إليها، لم تتحمل الصدمة حتى عقلها رفضها وقرر أن يغيب عن الوعي فينتبه الكل بالخارج على صوت ارتطامها بالأرض وصرخة أسر باسمها.

الفصل السابع:

احتار الجميع من سبب إغماء بشرى واحتاروا أكثر من رجوع رضوى المفاجئ ثاني يوم على إغماءتها، سافرت من الصباح الباكر دون أن يراها أحد أو تودع أحد، لم يلاحظ أحد منهم أنها كانت بالغرفة من قبلهم جميعا وقت إغماء بشرى فقط بيسان ونهير اللتان لاحظتا ونظرا لبعضهما ولكن اهتمامهما ببشرى حال دون سؤالها عن ذلك.

نجحوا في إنعاش بشرى ولكنها رفضت أن تتحدث مع أي أحد أو تقول أي شيء، حتى أسر رفضت الحديث معه بل الأغرب لهم طبعاً أنها كانت تنظر له غاضبة والدموع تسيل بحارا من عينيها لم تتوقف، حتى عندما دخلت عليها بيسان لتطمئن على حالها في جوف الليل سمعتها تبكي وتئن بحرقة، ومع ذلك تركتها فهي تعلم أختها في هذه اللحظات تحتاج للوحدة أكثر شيء، ستحتضنها غدا وتفهم منها ما يؤرق مضجعا ويبيكها بكل هذه الحسرة، أغلقت باب غرفتها ووجدت ليلي أمامها تسألها عن حال بشرى، فأخبرتها أنها كما هي منذ أن أفاقت تبكي بحرقة لساعتين أو أكثر للآن، ولا يدري أحد لماذا، إنها حتى ترفض أن تتحدث مع أسر أو أن يبيت معها، ساورتها الظنون في حدوث مشاجرة بينهما ولكن متى وقد تركته قبل الذهاب لمركز التجميل والحب يتشدق بين قلبيهما، حارت بهما الأفكار فقررتا تركها للغد، ثم جلسا بالصالة الكبيرة وطلبتا أمير هاتفيا ليطمئنا على حال داليا وإبراهيم، فلاح الحزن بعيني بيسان وأخبرت ليلي عن حالته السيئة وأنها تخشى عليه للغاية، فشعرت ليلي من كلامها بمشاعر متضاربة تعرفها جيدا بل تكاد تكون مرت بمثلتها ولكنها أثرت الصمت حتى تأتي لحضنها وتحكي بنفسها كما كانت تفعل دائما وهي صغيرة.

وبالطبع في الصباح اكتشفوا سفر رضوى ولكن لم يعلق أحد فحالة بشرى ووجود أسر ومرض داليا المفاجئ جعل سفر رضوى كسقوط فرع شجرة بجوار بركان يثور، خرج أسر في الصباح هو أيضا للذهاب لعمله بالمصنع دون أن يتفوه بأي كلمة، بينما دخلت ليلي إلى بشرى وقت الظهر ومعها صينية بها طعام خفيف للإفطار، وجدها جالسة تضم ركبتيها إلى صدرها وتشبك ذراعيها حولهما وعيناها منتفختان وحمراوتان، حاولت ليلي أن تبدو مرحة وهي تقول:

- أحضرت لك الفطور بالفراش كالملكات.

ثم وضعت الصينية على جانب الفراش وجلست قبالتها مستطردة:

- ماذا بك يا حبيبتى؟ ألن تخبري ماما ليلي؟

امتلأت عيناها بدموع غزيرة جعلت ليلي تحتار وفتحت لها ذراعيها لترتمي بحضنها وتبكي بكاء مريرا كانت تهتز من شدة بكائها مما جعل ليلي خائفة عليها بشدة وهي تقول:

- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ماذا بك يا حبيبتى أخبريني لماذا تبكين هكذا، لماذا!؟

ظلت ليلي تقرأ لها بعض الآيات القرآنية حتى هدأت ونامت مرة أخرى، أو تصنعت النوم حتى تهرب من أي أسئلة.

كانت الساعة السادسة تقريبا وقت كانت تجلس بمفردها على الرمال الصفراء الناعمة ظل عقلها يستعيد كل شيء، كيف لم تلاحظ أي تغيير عليه، هل كانت سكرى بحبه لهذه الدرجة وما يحرق قلبها صديقتها الخائنة كيف لم تفهم كرهها لعلاقتهم كيف لم تلاحظ غيرها الزائدة،

كانت تلاحظ ولكنها كانت تديرها لها لأنها لم تجد الحب بعد، في حين أنها وجدته في زوجها وحبيبها هي.

قلبا ينكوي بنار لا تعرف كيف تطفئها، غاب منذ الصباح ولم يحاول حتى مواجهتها وتبرير فعلته، ولكن بماذا سيبرر خيانتته بماذا سيبرر ما رآته بأمر عينها، هذا المشهد تكرر في كوابيسها طوال الليل وهما معا وآهاتهما الطاعنة لأنوثتها حركة يده على جسد الأخرى بشغف جعلها تتمنى لو كانت عمياء، صوت قبلاتهما يتخلل عقلها كأبشع الانفجارات المدوية ويجعلها تتمنى لو كانت صماء.

كيف تمحو هذا المشهد من ذاكرتها، كيف تتعايش مع هذا الألم الرهيب، كيف.. كيف.

- بشرى، ما أخبارك الآن؟

كانت تلك ريم أخته نظرت لها بشرى كارهة كل شيء يخصه، لم تلاحظ وجود بيسان ونهير مع ريم فقالت بكل الغضب المكتوم بداخلها منذ الأمس:

- أتريدان أن تعلمي أخباري، حسنا سأخبرك لكي توصلني كل كلمة سأقولها له، أخبريه أن كل ما بيننا انتهى، ولو كان يحمل مثقال ذرة من رجولة فليطلقني فوراً، حتى ينفرد لخياتتي مع تلك الحقيبة كما فعل بالأمس بغرفتي وعلى فراشي، لم يتمكن حتى من الانتظار حتى يأخذها بعيداً عن بيت عائلتي، بل جعلني أرى أبشع كوابيسي تتحقق بيده، أخبريه أن يرسل إلي ورقة طلاقي قبل أن ينفذ صبري وأخبر أبي.

كأن ضربتهن الصاعقة هن الثلاثة كل منهن أعينهن جاحظة أفواههن مفتوحة من الدهول، يظنن أنه ضرب من الخيال ما تقوله بشرى، ما أن

استفاقت ريم لم تتمكن سوى من المغادرة مبتعدة التفتت بشرى تتابعها
لتجد أمامها أختها ونهير، تساءلت ساخرة:

- أسمعتما؟!!

قالت بيسان مقتربة منها:

- بشرى حبيبتي أهذا الذي قلتيه لريم حدث بالفعل!

التفتت إليها بعصبية قائلة:

- ليس لدي أي طاقة لإرسال كلمات معك بيسان، دعيني بمفردتي من
فضلك.

ثم استطردت قائلة بحزن:

- لكن طمأنيني أولاً على داليا.

تنهدت بيسان وابتلعت كل تساؤلاتها وخوفها عليها على مضض،
وأخبرتها بأسى أن حالة داليا متأخرة للغاية، وأن أخاهم أقنع إبراهيم أن
تظل داليا هنا بنفس المشفى وتبدأ علاجها على الفور، وتظل شهد معهم
وتحت رعايتهم وتلتهم مع نادر عن غياب أمها، خاصة أنه لم يبلغ أهلها
بعد.

هزت بشرى رأسها بحزن ثم التفتت أمامها تنظر إلى غروب الشمس
التي قررت أن ترحل اليوم آخذة معها الكثير.

انتفضت بشرى مذعورة في جوف الليل على كابوسها البشع المتكرر
وهما عاريان يقبلان بعضهما وينظران إليها بخبث ويضحكان على
ذهولها شعرت بتوعك في بطنها شديد جرت مسرعة إلى الحمام
وأفرغت ما في بطنها من عصارات فهي لم تأكل طوال النهار سوى

قليل من العصير أصرت عليها ليلي أن تشربه، اعتدلت واغتسلت ووقفت
تتظر لنفسها في المرأة هذا ما ينقصها تو عك في بطنها..

وفجأة تذكرت شيئاً ما، هل يعقل هذا، ولم لا فهي متزوجة منذ أربعة
شهور تقريبا..

اتسعت عيناها وهي تجري حساباتها في عقلها ولكنها لا تتذكر شيئاً
ستجري تحليلاً في الغد، نظرت إلى بطنها وهي خائفة من هذا التوقيت
الغريب لظهور طفل سوف تنهي كل علاقة لها مع والده، ولكنها ليست
متأكدة بعد.

لا بد أن تجري التحليل المنزلي في الغد العاجل.

.....

نظر أمير لنهير بتعجب وقال بحزم:

- نعم، أعد على مسامعي ما تريدين مرة أخرى من فضلك؟

- أريد أن أسبح الآن، ماذا بك؟ دعني أمر.

- يا إلهي، نهير لو سمحتي اذهبي للنوم الآن إنها الخامسة فجراً.

- whatever، أريد أن أرى الشروق وأنا أسبح.

- حقاً!

ربعت يدها وقالت ساخرة:

- نعم، حقاً.

وفجأة انطلق رنين هاتفها فنظرت فيه وتغيرت ملامح وجهها أشرفت
بشكل غريب، ردت على الفور على المتصل وأدارت ظهرها للأمير،

سمعتها تتحدث مع شخص يدعى حسام، وتعاتبه لأنه لم يحدثها طوال اليوم أو يرد على مكالماتها، يبدو من ردها أن هذا العتاب يثقل على مشاعره حيث إن صوتها الناعم أصابه الحزن والصمت للحظات ما لبثت بعدها أن تحولت لشعلة من النشاط وقفزت وهي تصيح أنها ستخرج للقياه في الحال ودعته حبيبي أيضا، لم يشعر أمير بحياته بمثل ذلك الغضب والضيق، وقف بطريقها مرة أخرى وأمرها بصرامة أن تعود لغرفتها وأنها لن تخرج الآن تحت أي ظرف حتى لو كان الذي ينتظرها بالخارج نجل الأميرة ديانا بذاته، استشاطت غضبا وحاولت الخروج رغما عنه، لكنه رفعها بقوة فوق كتفه، حملها كطفلة، كرشية يخشى عليها من قسوة الهواء فيجرح شعيراتها الرقيقة الناعمة، نعم فهو يعلم علم اليقين أن ايا كان الذي ينتظرها بالخارج ويشجعها على ملاقاته الآن دون مراعاة وقت أو سمعة، فهو بالتأكيد ينوي إبهارها حتى يكون الجرح نزفه أسرع وأشد، ولا يدري لم لا يمكنه السماح بذلك أبدا، فهو يشعر أنها مسئولة منه بكل الطرق والأوجه، لم يضعها أرضا إلا بداخل الغرفة التي تتشاركها مع أخته، وأغلق الباب خلفه بعنف غير عابئ بصرخاتها التي ولحمد الله لم توقظ نيام الفيلا في ذلك الوقت المتأخر.

استيقظت بشرى على صوت هاتفها إنه هو يتصل بها مرارا ولكنها لن ترد لا تريد أن تتحدث معه أو تسمع صوته أو تراه، فات يومان على ما حدث وهي تراه كل دقيقة أمامها كأنه مشهد يتكرر باستمرار في صحوها أو نومها، تسأل الجميع عن سبب غياب أسر عائلته بانشغاله في المصنع مكان أمير المنشغل مع إبراهيم وداليا لم يعلم أحد الحقيقة بعد غير بيسان ونهير فقط، ولم يعلم أحد أيضا بأمر اختبار الحمل الذي أجرته واطهر أنها حامل بالفعل، كانت ولا تزال مصدومة من هذا الخبر الذي لو كانت عرفته منذ ثلاثة أيام فقط لطارت من الفرحة، لو.. إنها

تلك الكلمة التي تتركنا لتلاعب الأقدار، الكلمة التي تبيح لخيالنا الكثير والكثير وترسلنا في آخر الأمر لواقع أليم تتحطم على شعابه المدببة التي تبدو لناظريها من بعيد مرجانية براقه ولكنها بداخلنا جافة وحادة تتحطم عليها أرواحنا بأحلامها.

الآن لا تدري ماذا تفعل هل تحضر للدنيا طفلا لا يجد والده بجواره أم تقوم بإجهاضه كما أجهضت كل أحلامها ومستقبلها وحبها مع خيانتته، كل يوم يمر عليها تشعر فيه بالضياح والفراغ والألم، وجع رهيب تشبعت به روحها حتى لم تعد تعلم كيف كانت من قبله، لم تعد تتكلم أو تضحك أو تأكل حتى سوى النزر اليسير الذي تغصب عليها ليلى به، خواء تشعر به بعقلها وقلبها المذبوح، لم تبرأ من حبه بعد لن تتمكن من نسيانه بسهولة فأكثر ما يؤلمها اضطرارها العيش مع فكرة غيابه، الحياة في غيابه قاتلة.

سمعت بالخارج أصوات ضحك ولعب نادر مع شهد وأصوات أخرى لم تهتم بتمييزها.

كم تكره عينها حين تتمنى النظر إليه، تكره يدها حين تتمنى الاقتراب منه، تكره قدميها حين تبعد عنه، وفي نهاية اليوم تكون قد كرهت كل شيء ولا يتبقى لها غير حب من حولها فتمسك به عله ينسيها من بالقلب وشم.

لذلك قررت تغيير ملابسها والخروج لتجلس معهم قليلا على الأقل تطمئن على أحوال داليا، عليها تنشغل عن التفكير في مأساتها، ولكن يظل السؤال يجلدها يوميا، فما العمل إذا كانت الوحدة قاتلة والأنس يغمره الادعاء والتكلف والقلب يرقد بمستقره خامدا دقائقه تكاد لا تسمع، والعين زائغة البصر لا تبصر أو هي لا ترى من دونه فائدة للنظر، والأذن صمت عن سواه، فصوته مازال يملأ الهواء ويعنقل، والكف

يشتاق عناقا منه على غفلة، وتحترق أنامله إذا ما لاقاه، ما العمل إذن
كان وجوده بكل الناس، وكل الناس من دونه أشباح.

الفصل الثامن:

اتسعت عينا أسر استنكارا وهي تدخل إلى مكتبه بمصنع مراد تتمايل وتتغنج فلم يكن منه إلا أن انتصب من مكانه قائلا بغضب:

- أجننت يا رضوى ماذا جاء بك إلى هنا هذا مكان عمل؟!!

لوحت رضوى بيدها وهي تلقي بحقيبتها على سطح مكتب أسر قائلة بعصبية:

- ماذا تريد مني أن أفعل وأنت لا ترد على أي من اتصالاتي.

- ماذا تريدين الآن؟

- أريد أن أعرف ماذا سنفعل بعد الذي حدث؟

- سنفعل! لا تجمعي بيني وبينك بجملة أبدا، أفهمين، أنا سأصرف، وأنت اختفي تماما.

أطلقت رضوى ضحكة عصبية منفعلة قائلة:

- أضحكنتي أتصدق، أدوري انتهى هكذا بكل بساطة بعد أن حققت ما تريد!

نظر لها أسر بصرامة قائلا:

- أعتقد أننا اتفقنا على ذلك منذ البداية.

لان صوتها وقالت ونظرة لعوب بعينيها:

- نعم، أعلم لكن الآن الواقع تغير، وبشرى لن تعود إليك أبدا بعد ما حدث، فما المانع أن نصبح أنا وأنت سويا؟ أنت تعلم جيدا مقدار حبي لك.

نظر لها بحنق متذكرا كلام بشرى الذي أرسلته له على لسان أخته، نهض من مكانه وأعطاهما ظهره ناظرا للنافذة الكبيرة المطلة على البحر الأزرق الرائع، ظنت رضوى أنه يفكر في كلامها فوقفت بجواره وتحسست ظهره بطريقة مدروسة ومثيرة قائمة بنعومة:

- فكر في كلامي يا حبيبي صدقني لم يعد لك غيري، ويمكنني بعلاقات أبي أن أجعلك مدير أي مصنع تشير إليه بنانك، وسأسيك بشرى وكل ما يتعلق بها.

التفت إليها غاضبا وقال بعصبية:

- رضوى اذهبي الآن وسأتحدث إليك في وقت لاحق.

- حسنا، سأشتاق إليك حبيبي.

ومالت عليه لتقبله ولكنه ابتعد قليلا قائلا بهدوء:

- أرجوك رضوى هذا مكان عمل.

نظرت له بحنق أخفته بمهارة ثم قالت:

- حسنا، سأنتظر مكالمتك.

شاهد ابتعادتها متمائلة ساخطا على وضع سخييف وضع نفسه فيه بإرادته الحرة وغيبانه ولكن للأسف لم يكن أمامه غير ذلك.

كانت تسير بمحاذاة الشاطئ، يذكرها عناق أمواجه بعناقهما معا، ترى تجمع الزبد يحيط بمياهه يحتضنها كفرو ناصع البياض يضم صاحبتة ويهبها الدفء والأمان، ترقرت دمعة من عينيها متمنية ذراعيه اللتين كانتا فروها الحامي الحاني، انحسرت المياه عن رمالها الناعمة كانحسار الحياة من قلبها، كتراجع دمائها التي كانت تضخ اسمه مع كل نبضة فتثير بداخلها فورانا محببا كان يبيت الحياة بها، رؤيتها لقرص الجوانب يغرب، يرسل أشعته كقطرات باكية علي وجه المياه أثار بها شجنا يقبض الروح ولا يتركها إلا وهي بليل سرمدى.

لم تكن تدري بذلك الذي يراقبها مفتونا من بعيد، دائما كان بها شيء غامض يثير حيرته حزن دفين يختفي تحت أهدابها الطويلة وعينيها الضاحكتين بحزن وشجن، ولأول مرة في حياته يرى فتاة تضحك بحزن، تتبسم بشجن تتغلغل في قلبه بعنف كشلال مياه مندفع بضراوة إلى عمق محيط قلبه.

مر أسبوع على وجوده هنا أتى بناء على دعوة من أمير وجدها فرصة ليريح أعصابه ولكن عندما رآها لأول مرة تتحرك وسطهم حزينة هائمة أراد أن يظل متواجدا حولها عله يعرف سبب هذا الحزن ويمسح بأنامله دموعها التي لا تجف، اقترب منها كانت بشعرها الذهبي وفستانها الأبيض المتطاير حولها أمام قرص الشمس البرتقالي اللون أثار اختفائه بين السحب وصفحات المياه الناعمة مثيرا في الأفق ظلال الليل الهادئة، تثير زوبعة بقلبه لا يقدر على تحملها، قال بهدوء وخفوت حتى لا يجرح جمال المنظر ولا يخيفها أيضا:

- أتسمحين لي بأن أرى الغروب معك؟

نظرت له غير عالمة متى أتى ومن أين ظهر ولكنها لا تبالي فهي لا تشعر بما حولها فهزت رأسها بالموافقة فلا تقدر حتى على فتح فمها للكلام مطلقاً.

ظلا هكذا يقفان أمام الغروب البديع وكل منهما هائم بأفكاره، هي في هذا الذي خانها بكل سهولة بعد كل هذا الحب ومع صديقتها المقربة، وأيضا الطفل الذي ينمو في أحشائها والذي لا تعلم ما سيكون مصيره بعد.

وهو يفكر بكيفية اقتحامها لقلبه بهذا الشكل دون حتى أن يتحدثا كثيرا فهي نادرا ما تتحدث تجلس وسطهم كشبح جميعهم لاحظوا ذلك وعلوه بابتعاد زوجها لانشغاله، نعم اقتحمت قلبه وهي متزوجة دائما ما يخبر نفسه أنها تثير فضوله فقط، فقد أخبرته نهير أخته أنها اكتشفت خيانة زوجها بعد حب كبير وذلك سبب حزنها ولكن لا يعلم أحد من أهلها بعد، ولكنه يعلم علم اليقين أنها انحدرت على قلبه من علٍ فأحدثت به أثرا غائرا كقطرة ماء ندية تسقط من سماءها على تربة لينة فتخترقها بكل عنفوان ويسر.

أنزل الليل أستاره على الأجواء فقال محاولا فتح باب الحديث معها ليستمتع بصوتها العذب الرنان:

- كم هو عجيب ذلك الغروب، يشعرك عند ابتعاد الشمس كأنها تأخذ شقفة من أرواحنا كل يوم خاصة لمن يراقبها، ويكأنها تقول كلما تعلقت بي كلما ابتعدت.

التفتت إليه وبعينيها الجميلتين نظرة تعجب مثيرة للتساؤل فقال باسماء:

- لماذا تنظرين إليّ هكذا؟!!

- كنت أفكر للتو بالشمس وغروبها الذي يقطع من روعي جزءا يوميا.

- أهذه الدرجة الجرح كبير؟

صمتت برهة ثم قالت بابتسامتها الحزينة:

- نعم.

التفت إليها ليواجهها قائلاً:

- الآن ترينه كبيرا جدا عملاقا يكاد يبتلعك، ولن تشفي منه أبدا، لكن صدقيني كلما كان الوجع أكبر كلما اقترب الشفاء أكثر وبطريقة لن تتوقعيها، ستستيقظين يوما ما تجددين أن كل شيء انتهى، وقدرتك على استيعاب الوجع تعاظمت وأصبحت أخيرا قادرة على التعايش معه سيصبح جزءا منك، لكن جزء طفيلي أخذ الكثير منك ولم يعد ممكنا أن يأخذ أكثر، لأنه ببساطة لم يعد لديك أي طاقة ليتغذى عليها، فستقرري أن تدفنيه بعيدا جدا بمكان قصي بذاكرتك وروحك وتبدأي من جديد.

لمست كلماته قلبها ربعت ذراعيها قائلة بوجل:

- يا ليت ما تقوله يحدث بالفعل.

عيناها اللامعتان ببريق ليلي خاطف لأنفاسه فقال بهدوء يخفي كثيرا مما بداخله:

- الله كريم، ورحمته وسعت كل شيء، لا تقلقي.

أثرت بها جملته كثيرا ورددت قائلة:

- يا رب.

- مساء الخير.

التفتت للصوت وأجفلت هل هو فعلا بعد أسبوع وأكثر يتذكر الآن ليأتي لها، قالت له بعصبية فشلت تماما في كبح جماحها:

- ما الذي أتى بك لهذا؟

نظر لها متألما، لم يتصور مطلقا في أبشع كوابيسه أن يرى نظرة الكره والنفور تلك بعينيها الحبيبتين، أصابته نظراتها بمقتل كخنجر صدئ يعبث بأحشائه، فماذا إن تكلمت.

اقشعر بدنه من جراء نظراتها، لأول مرة تتمرد عليه وتتحداه، لا يدرك أحد حجم فوران بركان أحزانه، يخشى تناثر حممه من عينيهِ الأثمتين اللتان تنضحان حيا عصي عليه، كادت يده تحطم هاتفه، فكيف لا يمنع تشبثه به حمم عينيهِ من الظهور وإحراقها قبل إلهاب قلبه وجعا، كيف يمكنه أن يلغي حروفها من معجم عقله، كيف يمحو صورتها الموشومة بقلبه دون إسالة دمائه بضريح عشقها العاشم، عاد يرنو لها مكبلا قلبه قبل دمعته، فوجد نظرتها المتحدية له اختفت وحل محلها نظرة امتنان له هو.. فكم يتمنى الآن نظراتها الغاضبة عن تلك الممتنة له.. وكم تفتلنا الأمنيات، حاول أن يردي أفكاره البائسة وقال بصوت أمل أن يللم شتاته:

- أنا لم أتِ لأدافع عن نفسي لقد أتيت للاطمئنان عليك فقط.

التفتت إليه بكامل جسدها متناسية تماما وجود خالد، تحدثت بصوت جريح وأخبرته قائلة:

- تطمئن علي بأي صفة، أنت شخص لا أعرفه، شخص خانني مع صديقتي بفراشي ببيت أهلي ولم يهتم لمشاعري ولما سأعانيه، أنت إنسان آخر غير الذي تزوجته، أنت إنسان أناني لا يفكر غير بنفسه ورغبته فقط، أتدري ماذا فعلت بي، أتدري كابوس كل ليلة الذي

يهاجمني ويردي النوم بين جفوني وأنت تحتضنها وتقبلها، أنت إنسان
آخر استحل ذبجي دون أن يرف له جفن أو يشعر بألم أو ندم..

- بشرى..

حاول مقاطعتها لتهدئتها فقط فهو حقا لا يدري بما يرد عليها، ولكنها
منعته، كم كانت ثائرة على ما حل بها من غبن، ولا تود أن تسمع منه
أي كلام يخدر جرحها ويسكرها بحبه من جديد، وكم نتوق أحيانا لتلك
الكلمات المسكرات فتجرعها أخف وطأة من تحمل خناجر الأحباب،
ولكنها تنأى بقلبها عن سكر مؤقت يوذي بحياته، لذلك أكملت وجسدها
ينفرض غضبا وصوتها الرنان يتوه وجعا وسط بركانها الثائر
فاستطردت وهي تسعل وتضع يدها على قلبها عليها تهدئ اندفاعه فلا
يخترق صدرها ويتركها خلفه صرعى ليقتنص من قاتله المائل أمامه..

- اصمت تماما واستمع إلي لأنها ستكون آخر مرة أتحدث فيها معك،
أريدك أن تتخيل أنك أنت الذي وجدنتي بأحضان رجل آخر عارية وبين
ذراعيه ألثوي، ماذا كنت ستفعل وقتها؟

لقد أحببتك حبا لم أتصور أنه موجود بداخلي، أحببتك لدرجة أنني تمنيت
لو كنت خننتني معها بعيدا عني حتى لا أراكما ولكن الأهم أن تظل
بجانبي، لقد جعلتني أكره أفكار المنساق خلفك، أكره قلبي الذي ينبض
يوميا باسمك، أكره كل حياتي التي كنت أنت محورها، أتمنى أن أفقد
ذاكرتي فقط لألا أراكما يوميا بأحضان بعضكما في صحوي ومنامي، لا
أريد أن يقع ناظري عليك مرة أخرى، ابتعد عل ابتعادك ينبت بداخلي
بذور كرهك، طلقني وابتعد يا أسر، طلقني.

أنهت كلامها الباكي بدموع من دم تلهب قلبها قبل وجنتيها، وسارت
مبتعدة لا تقوى على السير فلحق بها خالد الذي نسيا وجوده تماما أمسك

خصرها وذرعاها قبل أن تسقط فلقح بهما أسر وقال له وهو يبعدة عنها بقوة:

- ماذا تفعل أنت؟ ابتعد أنا سأحملها للدخل.

قال له خالد بحدة:

- ابتعد أنت لو سمحت، ويكفي ما سمعته منها.

اكفهر وجه أسر، من هذا الوقح حتى يتحدث معه هكذا ويمنعه عن زوجته، ولكنه أسند الغائبة عن الوعي من خصرها، ومسك ذراع الآخر بقوة وقال بصرامة مخيفة وصوت أجش يوشك صاحبه على الانفجار:

-أبعد يدك تلك عنها، واحترم نفسك فلا تتدخل بين رجل وزوجته، أفهمت أم أفهمك بطريقتي؟

-وكيف ستفعل إذن؟ ألسنت خجلا من حالك!؟

لم يتمالك أسر نفسه فكال له لكمة بكتفه أبعدته فورا

اندفع إليهم أمير الذي جاء مسرعا إثر صياح بيسان التي رأت معظم ما حدث من نافذة الصالة الكبيرة المطلة على البحر، حمل أمير أخته وأدخلها غرفتها بينما احتد النقاش بين خالد وأسرة الذي قال بعصبية وهو يندفع نحو خالد:

- اجعلني أراك بجوار زوجتي مرة أخرى وسترى ما لا يحمد عقباه، من أنت أصلا وماذا تفعل هنا!؟

- هذا شيء لا يخصك، أما بشرى فقد كنت ألحقها قبل أن تسقط، فأنت أناني ولا ترى غير نفسك كما قالت هي تماما فلم تلاحظ إنهاكها.

- أيها الوغد!

ومع كلمته اشتبكا في عراقك حتى لحقهما أمير لدى عودته صارخا فيهم بقوة، مبعدا أسر عن خالد الذي كاد يطحن تحت يديه الغضبي:

- ماذا يحدث هنا أجننتما أنتما الاثنين؟! فليفضل أحد ويخبرني بما يجري؟

قالت بيسان بعنف، فلم تتمكن من كتمان سر حزن أختها أكثر من ذلك:

- سأخبرك أنا، بشرى رأت خيانة أسر لها هنا بغرفتهما ومع رضوى صديقتها، وهي تطلب الطلاق من أسر، أسفة كان لا بد أن أتكلم فلن أصمت أكثر من ذلك تاركة أختي يفترسها الألم يوميا دون أن يدري بها أحد.

نظر أمير لأسر مذهولا وسأل:

- أهذا الكلام صحيح يا أسر؟!

ارتبك أسر قائلا:

- يا أمير أنا.. أنا.. أمن الممكن أن نتحدث بمفردنا؟

برقت عينا أمير بغضب رعدي قائلا بحدة:

-تفضل.

وابتعدا خارج الفيلا تماما، بينما ذهبت ليلي وبيسان ونهير للاطمئنان على بشرى ومعهم قلب خالد.

.....

فتحت داليا عينها ببطء شاعره بوجع رهيب في كل أنحاء جسدها، ألم لم تتخيله أبدا عندما قرروا أن تبدأ علاجها ولا تعلم لمتى سيستمر هذا

الألم، تشعر بوهن وآلاف الطعنات السامة بكل عظمة من عظامها، غريب كيف لا نشعر بعظامنا إلا عندما يصيبهم مرض، تماما كما لا نشعر بقلبنا إلا حينما يصيبه حب أو هجر، وهي الآن تشعر بآلام الثلاث، آلام الجسد، وآلام خوفها على من تحب، وآلام خوفها من هجرها لهم موتا، إنه هو دائما الخوف، الزائر اللعين غير المرغوب به، فإذا كان السرطان سيقتل جسدها فالخوف كفيل بالإجهاز على دواخلها، شعرت بيد تمسد شعرها وأحد يمسك يدها علمت أنه هو زوجها الحبيب، حاولت فتح عينيها مرة أخرى وابتسمت بضعف وسمعته يقول:

- كيف حالك الآن حبيبتى؟

قالت بصوت أخرجته بصعوبة:

- الحمد لله.

- الحمد لله دائما، أعلم أن الألم لا يحدث، لكني بجوارك ومعك ابكي اصرخي ارفضى وأنا بجوارك وسأظل ظهرك المصلوب ليمنعك من السقوط.

- لا حرمني الله منك أبدا يا حبيبي، أين شهد تتوق نفسي لرؤياها؟

- في فيلا الساحل مع ليلي وبيسان، لا تقلقي عليها أبدا هي فرحة للغاية بوجودها معهم وخاصة نادر.

ثم استطرد بحزن:

- فحزن والدتك مسيطر عليها ويمنعها من العناية بشهد.

فأمها لا تقوى عليها يكفيها البكاء ليل نهار لحال ابنتها الوحيدة، لم يشأ أن يخبرها بذلك بالطبع، ردت بضعف:

- أنا أخشى عناق الموت قبل عناق صغيرتي.

ألجم شفنتيها بأنامله، مؤكدا:

- لا تقولي هذا أبدا، أنا لايمكنني أن أسمح لأي شيء أن يختطفك مني حتى لو كان الموت أو المرض، بل سأقاتلها حتى أنتصر وأعود إليك وحياتك بين كفي كما حياتي بين شفنتيك، فلو تطلب الأمر سنسافر خارج مصر ولقد راسلت طبيبا آخر بجامعة بلندن ومنتظر الرد، لا تقلقي حبيبتي سأمتطي المستحيل من أجلك فليس لي غيرك بهذه الحياة، ليس لي غيرك.

هربت دموعها من مقلتيها متخذة وجنتيها الشاحبتين سبيلا، حاول التظاهر بالقوة، وجفف عبراتها لاثما وجنتيها، واحتضنها بقوة وكأنه يتمسك بها ويحمي قلبيهما من الفراق، ثم حاول استعادة رباطة جأشه وأخبرها أن والديها بالخارج يتحرقان شوقا للاطمئنان عليها فسيدخلهما.

عدل وضع الفراش وأسند ظهرها بوسادة إضافية، نظرا لبعضهما لبرهة سرقاها من الزمان ومن المرض، اشتاقا لرؤية أنوار عيونهما مائلة على بعضهما البعض داعب أنفها بأنفه واحتضن رأسها بجوار قلبه هامسا:

- لا تخشي شيئا طالما أنا بجوارك وبصدري نبض حبك يخفق.

الفصل التاسع:

ألقت نهير بالهاتف بعصوية ونفخت متأففة بقوة وضيق، فها هو يعود ليرتدي ثوب الغياب، يختفي دون أي إنذار سابق، يسدل علي قلبها ليلا سرمديا لا ينتهي إلا بعودته، وبعد كل عودة يعدها بنبذ الغياب وهجر الاختفاء، ومازالت تصدقه، ومازالت تنخدع، ولا يزال التحميل جاريا على قلبها بالخذلان، فلا تلم إلا قلبها الذي وافق أن يتحمل، أبصرتها ببسان حائرة حزينة، فتعجبت لذلك وسألتها:

- ماذا بك نهير؟ ستكسرين الهاتف.

- حسام لا يرد على مكالاتي منذ الأمس، ولا حتى على رسائل الواتس أب، لقد مللت حقا من طريقته تلك.

- حسنا، أرجوك اهدأي قليلا، وتوقفي عن إرسال أي رسائل نصية له، ولا تتصلي به أيضا، قد يكون مشغولا.

ولكن نهير قالت بثقة يغمرها حزن ويفيض بصوتها فيملؤه:

- لن يهاتفني، بل سيتركني هكذا أتعذب بغيابه ووحدي.

فقد كانت تظن أنها كلما أحبته كلما ازداد تعلقه بها، بيد أن إغداق الحب والحنان يسوق القلوب دائما إلى القسوة فرحماك يا الله بقلوبنا التي لا تعرف سوى الحب والحنان، فالبعض يظن الغياب يزيد العشق شوقا وينهك القلب سعيا، فيصبح أكثر سهولة لاستقبال الحبيب بكل شروطة وعيوبة، وبالفعل يفعل، ولكن أثناء سعي القلب المرير ينهل من عشقه افدنة ويتركه صحراء جدباء لا حب فيها ولا حياة.

حزنت بيسان كثيرا لتعلق صديقتها بحب رجل بائس اناني، لا يهتم لها ولمشاعرها، فاصرت عليها أن تتوقف عن الاتصال به، فأخبرتها نهير بأسى:

- لا أتمكن من فعل ذلك بوسي، أشناقه كثيرا، كما أختنق وأنا بمفردي، فهو عودني أن يملأ يومي كله.

فتعجبت بيسان وسألتها:

- ألم تفكري قبلا أن حبك له مجرد ضعف واحتياج أو فراغ عاطفي، أي شيء غير الحب الحقيقي؟

- وما الفرق بينهم، أوليس الحب هو احتياج اثنين لبعضهما؟

- لا، الحب احتياج قلبين لبعض، قلبين يشعران ببعض، يعلمان احتياجات بعض ويلبيانها، ولا أحد منهما يستغل حاجة الآخر ويعذبه بها.

سهمت نهير قليلا ثم سألتها كطفل يود أن يجد من يأخذ بيده لعبور منحنى خطير يعج بالسيارات:

- حسنا، وإذا كان أحد الطرفين يستغل احتياج الآخر له كي يلبي رغباته العاطفية، ويرضي غروره، دون أن يهتم إذا كان شريكه حزينا أو سعيدا، دون أن يتحسس احتياج الآخر ومدى توافق رغباتهما، كل ما يهمه أن يجده وقت احتياجه، وإن قوبل ذلك الاحتياج بالرفض يكون الغياب هو العقاب؟

- إذن ممنوع عليك الحزن أو الضيق أو حتى تخبريه عن أي شيء يضايقك في حياتك أو حتى منه، هل تعتقدي أنه بهذه الطريقة يحبك؟

- بالطبع لا، من يفعل ذلك لا يحب غير نفسه فقط.

نظرا هما الاثنان خلفهما كان هذا أمير ويبدو أنه سمع الكثير، تضرع وجه نهير باحمرار إثر تواجده، بينما قالت بيسان باسمه:

- أمير أهذا أنت، تعال أخبرنا رأيك في هذا الموضوع، ماذا يفعل الطرف الذي يعشق أمام هذا الأناني؟

جلس أمير مقابلا لنهير وقال ناظرا لعينيها بثبات وقوة:

- نحن كرجال عندما يتملكنا عشق، نعطي دون حساب، لكن هذا فقط إذا عشقنا بالفعل وجديا، أحيانا نحن أنفسنا نتصور أن ما نحياه حبا، يخدعنا قلبنا، وقتها يحدث ما تقوليه وأضيفي إليهم الإهمال والأنانية وعدم تحمل المسؤولية واللامبالاة والعصبية وعدم التقدير وقد تصل للخيانة والضرب أيضا، وتتساءل الزوجة المسكينه ماذا حدث؟ أين ذهب كل الحب الذي كان؟ لم يذهب لأنه لم يكن موجودا من الأساس، فما يعتقدوه الكثير حبا قد يكون احتياجا أو توقيتا خطأ تقابل فيه الاثنان وكل منهما يتمنى الشعور بالحب يريد أن يحيا مشاعر الحب الجميلة التي تمتلئ بها البدايات دائما، وأحيانا تكون رغبة رجل في امرأة جميلة عصرية فتخيل أنه يحبها ولن يصل إليها سوى بالزواج طبعاً فيكون ذلك الزواج مأساة، وحالات وظروف كثيرة أخرى لا تعد ولا تحصى، كل هذا سببه سوء الاختيار منذ البداية والتسرع في الحكم على المشاعر وعدم معرفة الذات ودواخلها ومن قد تحب حقا أو تشتهي فقط.

فالرجل عندما يعشق حقا يعشق بعقله وليس بقلبه، مشاعرنا لا تغلبنا مثلكم، بل يتحكم عقلنا فإذا امتلأ عقلنا وتشبع بكل تفاصيل امرأة واحدة، استطاعت هي فقط أن تفهمه وتضحكه تذهب أحزانه وتثير تساؤلاته

وتقدر تعبها، وقتها فقط تتحرك مشاعره ويمتلئ قلبه ويستغني بها عن الدنيا كلها.

نظرتا له هما الاثنان بذهول وظلا على صمتها لحظات حتى قطعتة بيسان قائلة:

- ما هذا الذي تقوله، جواهر ودرر حقا!

- ضحك أمير قائلا:

- أشكرك سيدتي الجميلة، المهم أن هذا الذي يعاقب بالبعد وهو يعلم جيدا أن ذلك سيجرح الطرف الآخر لا يحب حقا، إلا إذا كانت هي أخطأت بحقه وقتها يكون هو المجروح وابتعاده منطقي.

نظرا لنهير هما الاثنان فقالت متعجبة:

- لماذا تنظرا إلي هكذا؟

قالت بيسان بمزاح:

- نود أن نعلم أي جريمة ارتكبت؟!!

ضحك معها أمير ولم يشأ أن يحرج نهير أكثر من ذلك فنهض قائلا:

- حسنا، أترككما الآن لتتفكرا بكلامي، أنا سأنزل الإسكندرية، ألا تريدان شيئا من هناك؟

تعلقت بيسان بذراعه كالطفل الصغير ورجته أن يأخذها معه فقد اشتاقت والدها للغاية، وسألته لم لا يأتي، فتعذر أمير بانشغاله بأعمال هامة للغاية ومشاكل كثيرة بالعمل، فسألته لم لا يعودون جميعا، فقد عادت كل صديقاتها بالفعل بعد ما حدث لداليا، وما حدث لبشرى ومشكلتها مع أسر، فما الجدوى من الاستمرار هنا في ظل هذا الجو الحزين الملبد

بالشجن والوجوم، فأخبرها أن بشرى نفسها لن تقبل العودة، فهي تجلس أمام البحر معظم الوقت، كما أن داليا تعالج بمشفى هنا ولا بد أن يظلا بجوارها هي وإبراهيم لاجل ابنتهما فهي أمانة أودعها أبوها لديهم ولا بد أن تظل قريبة من أبويها، وقد شدد أبوه بضرورة وجوده بجوار إبراهيم وألا يتركه أبدا وأضاف قائلا:

- الرجل ليس له أحد غيرنا وأبي يحبه كثيرا، فلن أتركه بمثل تلك الظروف وأعود للإسكندرية، هذا غير بشرى فلا أظن أنها ستريد العودة الآن، ابقوا بجوارها وحاولوا جعلها تخرج ورفهوا عنها يا فتيات، فصدمتها ليست بالهينة، أنا شخصا يصعب عليّ التصديق حتى الآن، كما أنني سأخبر أبي اليوم فكلام مثل هذا لا يمكن التفوه به عبر الأثير.

قالت باسف ولكن باسمه:

- اتفقنا يا مقنع.

ابتسم ولثم جبينها ثم أشار لنهاير بيده ونظر لعينيها الأسرتين قائلا:

- فكرى بكلامي جيدا، ولا تظلمي نفسك.

وابتعد على الفور آخذا قلبها وعقلها معه، دون حتى أن تشعر أو تعترف بذلك لنفسها.

زاد الغثيان على بشرى، أصبحت تجري على الحمام تفرغ ما لا تأكله من الأساس، عليها الذهاب للطبيب لابد أن تجد حلا ولكنها مشتتة ولا تعرف ماذا تفعل به أتبقي عليه أم لا.

سمعت طرقات على باب الحمام اغتسلت وفتحت لتجد ليلي أمامها بعيونها الواسعة الفاحمة، وشعرها الليلي وقامتها المتوسطة واضعة ذراعها بخصرها المتناسق، حاولت الابتعاد ولكن ليلي سدت عليها طريق الخروج من الحمام قائلة:

- أستخبريني ما بك أم أعرف أنا بطريقتي؟

- ما بي يا ليلي! أنا بخير.

- لا، لست بخير، فبين كل ساعة وساعة تتقيئين وأنت لا تأكلين أصلا، وهذا ليس دور إنفلونزا فأنت لست ساخنة أو تسعين وليس لديك أي أعراض الإنفلونزا.

نظرت لها برهة ثم ابتعدت ودخلت غرفتها، ذهبت خلفها ليلي متجاهلة ضحيج نادر وشهد، وأغلقت باب الغرفة خلفها وقالت دون أي مقدمات:

- أنت حامل يا بشرى؟

حدقت بها بشرى ثم أشاحت بوجهها بعيدا، اقتربت ليلي وجلست بجوارها على المقعد الكبير بالغرفة، حاولت بحنانها الراسخ بأعينها وصوتها الذي يذيب جليد قلب بشرى معرفة الحقيقة، تشعر بل تكاد تكون متأكدة من حمل ابنتها، فبشرى ليست ابنة زوجها فقط بل هي تلك الطفلة الرقيقة التي تربت على يدها وتعرفها حق المعرفة، فبشرى شفافة لا تتمكن من إخفاء الخيط المنفلت من ثوب مشاعرها.

بعد محاولات ليلي المضنية اعترفت لها بشرى بصحة شكوكها بحملها، وجلت عندما علمت بنيتها للتخلص من جنين بريء أودعه الله برحمها رحمة بها لن تدرك مغزاها الآن، حاولت ليلي أن تبدو هادئة قدر الإمكان وأن تحيد رأيها عن إجهاض طفلها، ولكن كالعادة انهارت

بشرى باكية للمرة الألف، لم تعرف ليلى كيف تتصرف إزاء بكائها تخشى أن تضغط عليها أكثر يكفي ما بها، ولكن ما تفعله بنفسها لا يرضي أحدا، أكثر من أسبوعين للآن وهي لا تتكلم ولا تأكل وكأن العالم انتهى، عليها أن تستفيق مما تفعله بنفسها، فقالت ليلى وهي تمسكها من ذراعيها لتواجهها قائلة:

- كفى أفيقي يا بشرى، يكفي هذا الذي تفعله لأجل من لا يستحق، هذا غير أنه يتصل بك كل يوم ونادم على ما فعله، وحتى لو تريدين تركه إذن تنسيه تماما وتخرجيه من رأسك أفيقي لنفسك وارجعي لحياتك واشغلي نفسك وعودي ارسامي مجددا والله بعث لك هدية يشغلك ويعوضك وأنت أيضا تريدين حرم نفسك منه لم لا يكون هذا الذي يصلح أسر ويعيدكما لبعضكما، كفى يا بشرى أفيقي.

انتفضت بشرى من بين يديها ونهضت قائلة:

- لا يمكنني، لا يمكنني فعل أي شيء ولا أريد حتى، عقلي توقف عن العمل، أشعر بالموت يحتضنني كل يوم من كثرة التفكير، أين ذهب كل الحب والوعد، أين ذهب ولماذا؟

- وإذا كنت تريدين معرفة كل ذلك، لم لا تسالينه، قد يجيبك وترتاحي.

قالت بين دموعها:

- لا أعلم لا أعلم.

لان قلب ليلى وقالت بحنانها المعتاد:

- حسنا، حسنا، دعينا ننحي أسر جانبا الآن، المهم الآن هو الطفل الذي ينمو بداخلك، لا بد أن نتابع مع طبيب، ونخبر أباك وأسر أيضا.

- لا طبعاً، أنا لن أخبره ولن يعلم ولن يرى ابني من الأساس.

- كيف يا بشرى؟ هذا ابنه أيضاً حبيبتى.

قالت بشرى بعصبية وانفعال:

- أرجوك، أرجوك ليلى، لو علم سيرفض الطلاق، لن أخبره ولا يخبره أحد أبداً حتى يتم طلاقنا.

- حسناً، حسناً، دعينا الآن نذهب للطبيب لنطمئن عليك أنت والطفل.

أقلت بشرى بنفسها على المقعد بإعياء بعد هذه المناقشة المنهكة لأعصابها.

نعم مراد.. لا هي بخير الآن الحمد لله.. يا مراد أنا لم أعرف إلا منذ يومين فقط وأمير حضر ليخبرك.. كيف أخبرك خيراً مثل هذا بالهاتف.. حسناً.. حسناً سأخبرها.. بالطبع لا يمكن أن تفعل أي شيء دون علمك.. حسناً يا حبيبي لا حرمتنا الله منك أبداً.. بخير الحمد لله أو على الأقل تحاول أن تكون بخير.. لا أبداً لكن يوجد خبر آخر.. حسناً، سأقول.. بشرى حامل.. بدون عصبية يا مراد من فضلك.. حسناً، نعم حسناً، حاضر نعم سنذهب للطبيب ليلاً.. لا أسر لم يعرف بعد.. يا مراد أنا لم أعرف سوى اليوم.. لا أحد يعلم بعد ولا حتى أمير.. حسناً.. حسناً.. مع السلامة.

أطلقت تنهيدة حارة، فتورة مراد حادة وأحياناً لا تتمكن من تحملها، ويصعب توقع فيما يفكر، خاصة فيما يتعلق بأولاده، ولا تدري ماذا سيفعل إزاء ما فعله أسر وحمل بشرى المفاجئ هذا.

وصل أمير لشركة والده وقت الظهر، تعجب عندما دخل مكتبه فوجد أسر وأباه يتناقشان بقوة، وتعجب أكثر لصمتها عند دخوله، كان من الواضح أن مراد علم من أسر بكل ما حدث، فبعد أن فشل أسر في إعطاء أمير أي سبب مقنع يجعله يخون أخته، غير أنه لم يكن بوعيه، فيبدو أنه قرر أن يلجأ لمراد، لا يدري أمير كيف وجد والده متماسكا لهذه الدرجة أمام فعلة زوج ابنته المشينة، لذلك تيقن بوجود شيء خفي بينهما فقط، لكن لم يمهل أيهما السؤال عن هذا حيث تفاجأ بخبر حمل أخته، وقرار والده العودة معه إلى فيلا الساحل تحت حراسة مشددة وسرية تامة ليتحدث مع بشرى بنفسه ويطمئن عليها.

حاول أمير استخراج أي ذرة ندم من ملامح أسر أو تصرفاته، ولكنه لم يجد، بدلا من ذلك خوف وتوتر وكلمات مبهمه لم يفهم منها شيئا، أبلغ أمير والده في طريقهم إلى فيلا الساحل برغبة بشرى في الطلاق وهو ما رفضه مراد تماما خاصة بعد خبر حملها، وعندما أعلم بشرى بذلك بل وبرغبة أسر في مصالحتها وعودتها معه إلى منزلهما، ثارت وهاجت ورفضت أي نقاش أو خضوع، لم يتمكن مراد من مجابتهما، فتركها لأخيها يحاول إقناعها على الرغم من عدم اقتناعه هو، ولكن أمير حاول إيجاد حل وسط، وهو ألا يتم الطلاق إلا بعد أن تضع مولودها، وفي تلك الأثناء تظل هنا معهم، وافقت علي مضض وهي عازمة على أخذ حقها بنفسها.



تمدد أمير على كرسي الشاطئ أمام البحر يحاول تصفية ذهنه بعد كل هذه المشاحنات، يحمل الكثير ويود أن يستريح قليلا، نفت دخان سيارته مفرغا كل التوتر بداخله مع كل جزء يحترق منها كاحتراق روحه من الداخل كلما يراها تتحدث إليه يتمنى لو يتبخر إحساسه بها

كتبخر دخان سيجارته، فيعد حديثه معها عندما سمعها تشكي لبيسان لم يلاحظ أي تغير بل رآها تقابله على الشاطئ وتخرج معه ومن مجرد النظر إليهما معا علم أنه يستغلها يريد فقط الوصول لهدف معين ليس إلا وهي البلهاء تظنه يحبها، ليتها ترحل عن هنا ليستريح من التوتر الحادث له في وجودها، ولكنها رحلت بالفعل مع خالد ثم عادا مرة أخرى من يومين محملين بوجبات شهية أحضرها خالد من مطعمه.

كان غيابها مثيرا للحق والتوتر أكثر من وجودها، كان يتلفت حوله في كل لحظة عله يجدها أمامه، حتى مزاحه الدائم مع نادر وشهد أصبح يجثم على صدره بغياب ضحكاتها وتعليقاتها المرحة واللاذعة في أغلب الأوقات، قرر أخيرا أن يقضي يومي غيابها بشغله حتى يتوقف عن انتظار سماع صوتها ورؤية ابتسامتها.

كل شيء بها يأسره كلامها، حركتها، تصرفتها، حتى مزاحها مع بيسان، أكثر ما يثير أعصابه تحررها الزائد، وعلاقتها بهذا الشخص الذي يتمنى أن ينفي وجوده من على وجه الأرض، عيناها تلازمانه في كل مكان، حتى الآن يشعر أنها أمامه.

- هاي، ألم تر بيسان؟

انتفض من مكانه، هل استحضرها بفكره من كثرة التفكير بها، لا يستبعد ذلك، ولكن سماعه لصوتها مرة أخرى تسأله عن بيسان أكد له أنها حقيقة أمامه، وكم تمنى أن تكون محض خيال، فما ترتديه لا بد أن يظل حبيس خياله ولا يتحول لواقع أبدا، ذلك المايو القطعتين الذي يكشف جسدها كله يحيط به فقط وشاح شفاف تعقسه على رقبتها يتهدل علي ثنايا جسدها فيظهرها بإثارة أكبر، جعل الدماء تندفع برأسه تكاد تحطمها وتتطاير مغرقة كل ما حوله، حاول بهدوء أن يطلب منها تغيير ما ترتدي عندما أخبرته بأمر خروجها للقاء أصدقائها، فطن أن أصدقائها

هولاء ما هم إلا حسام، وهو لن يسمح أبداً بذلك، طبعاً رفضت واعترضت واتهمته بالوقاحة، فثارت ثائرتة وحملها على كتفه للمرة الثانية ولكن على مرأى ومسمع من الجميع هذه المرة، كان صراخها يدوي في كل أرجاء المكان حتى صعد بها إلى الغرفة التي تشغلها مع بيسان، وألقى بها فوق الفراش قائلاً:

- تغييرين هذا المايو فوراً وإلا لن تلمس قدميك المياه.

- أجننت بأي صفة تتحكم بي بهذا الشكل!

- بدون أي صفة، هكذا افتراء وشرور، وإذا لم تسمعي الكلام يا نهير سأصرف معك بمعرفتي ولا أظن تصرفي سيعجبك أبداً، كما سأخبر خالد ليتصرف معك هو الآخر.

بأي حق يتعامل معها بتلك الطريقة، لم يسمح لنفسه بالتدخل بحياتها بتلك الطريقة الفجة، ما يثير حنقها أكثر أنها لا تقدر على مجابهته، بل إنها أمامه تشعر بالصغر ويقبل قلبها الانصاع لأوامره، لكن عقلها يرفض ويملاً خلاياه التمرد، لذلك قالت منفعة والشرر يتطاير من عينيها:

- نعم طبعاً أنتما ذكور مثل بعضكما، مجتمع ذكوري متعفن.

أقترب منها ببطء ونظرات عينيه العميقة ترعبها:

- المجتمع الذكوري المتعفن ذاك الذي تذهبين إليه، بينما أنا هنا أحاول حمايتك والحفاظ عليك، أم إنني يجب أن أعاملك بوقاحة وأتركك تفعلين ما يحلو لك كي أكون أوبن ماينديد وغير رجعي.

أثناء حديثه تجولت أنامله بحرية على ذراعها، فلم ينل سوى صفة على وجهه من كفها الرقيق، أكدت له نقاء فطرتها، ومع ذلك نظر إليها نظرة ألقّت الرعب في أوصالها أكثر وهي تقول بصوت مرتعش:

- أنت قليل الأدب.

- إذا كنت قليل الأدب كنت استغللت طبيبتك مثلما يفعل حسام هذا، لكن أنا أخشى عليك، يا ليت لو تنوين الخروج تغيرين ملابسك تلك، وسوف أرسل معك سيارة بحارس كي أتأكد أن أصدقاءك فتيات ولسن حسام، ويا حبذا لو تختفين من أمامي تماما الفترة القادمة لأنني لن أضمن ردة فعلي المرة القادمة.

وخرج على الفور مغلقا الباب خلفه بقوة جعلتها تنتفض.

الفصل العاشر:

وصلت بيسان المستشفى التي تقيم بها داليا، وجدت إبراهيم يجلس بالحديقة ينفث دخان سيجارة لم يكن يقربها من قبل، اقتربت وجلست بجواره على الكرسي الخشبي قائلة محاولة أن تبدو مرحة:

- ما هذا يا دكتور؟ أليست السجائر مضرّة، لم بدأت التدخين؟

- أنا لم أبدأ، لقد عدت إليه مرة أخرى.

- لم بالله عليك إبراهيم!؟

- عني أجد ما أشعله، بدلا من الاشتعال ذاتيا.

- وإذا اشتعلت أنت من يعتني بشهد وداليا؟

- لذلك فضلت أن أذخن تبغي.

- لا يصلح ما فعله إبراهيم، تلك العصبية لن تفيدك، حتى الأطباء هنا تعبوا ولا يعرفوا كيف يتعاملون معك.

التفت إليها بحدة قائلاً:

- هل اشتكوا إليك؟

- لا ليسوا بحاجة لذلك، يبدو لي واضحا من طريقتك في التعامل معهم، حاول أن تهدأ قليلا من أجل داليا.

ابتسم ساخرا وقال:

- لا تقلقي، أعرف جيدا كيف أسيطر على الوحش بداخلي أمام داليا.

ابتسمت لا تعلم هل تشفق عليه أم تعجب به أكثر، ألقى بسيجارتة بعد أن أنهاها، واطمأن منها على أحوال شهد التي تسعد كثيرا برفقة نادر وليلى التي تعرف جيدا كيف تلهيها عن غياب أبويها بالخروج والألعاب ونزول مياه البحر.

فجأة سمعوا صوتا ينادي من بعيد على إبراهيم، إنها والدة داليا تخبره بخروجها من جلسة الكيماوي، نهض منتفضا وجرى إلى غرفتها فورا، تابعته ببسان بعيون دامعة محاولة كبت ما تشعر به تجاهه، ولكن هيهات لقد أعلن قلبها الحرب عليها وسيكون هو أول الضحايا.

عندما عاد إليهم خالد بعد يومين ليجد الكل متغيرا، ليلى واجمة بعد عودة مراد للإسكندرية، وببسان حزينة شاردة على غير العادة ودائما بالمشفى عند داليا، وأمير أيضا لا يتكلم كثيرا ويتحاشى التواجد بالفيللا، حتى نهير أخته مختلفة لا يعرف ما بها، أما هي من عاد لأجلها، لاشتياق رؤياها والحديث معها وسماع صوتها، فكانت كعادتها تأخذ شاطئ البحر مستقرها، تودع أمواجه أسرارها وأحزانها، تحاول جاهدة ألا تتحدث مع أحد، تشعر أنهم جميعا خانوها واشتركوا معه في إراقة دمائها، تتقاتل أفكارها باستمرار، أحيانا يغتال الشوق كرامتها وينتشي قلبها بكلمة أكرهه التي لا تنفك تكرر لها لنفسها عليها تصبح حقيقة، فتتذكر كل ما حدث أمامها وتجمعه ككرة ثلجية ضخمة تفكر جديا أن تقذفه بها لتحقيق انتقامها، حضور خالد إليها اليوم جالسا بجوارها عظم كرتها الثلجية أكثر، إعجابه الواضح بها والذي استطاعت أن تراه حتى من خلال أسوار حزنها، بلور بداخلها لذة الانتقام أكثر، نعم للانتقام لذة ولكن هل يتبعه ندم كما يقول البعض، ستعرف ذلك عما قريب، إذا استمر خالد بالتودد إليها كما يفعل الآن بحديثه معها والاطمئنان عليها،

لا تحتاج سوى مرة أخرى يراها أسر سويا، لم تكن تعلم أن ما تتمناه سيحدث أقرب مما تتصور إلا عندما سمعت صوته يقول بغضب هادر:

- ليس من المعقول أبدا كلما آتي أجدكما تجلسان معا.

انتفضت بشرى على صوته رغما عنها، بينما نهض خالد قائلا:

- أسر، لا يوجد أي داعي لهذا الكلام، فكل ما بينكما انتهى تقريبا.

- نعم، ومن أجل هذا حضرتك تجلس بجوارها باستمرار كي تخفف عنها، أخبرتك من قبل أنني لا أريد أن أجدك بالقرب من زوجتي أبدا.

احتد النقاش بينهما وزاده تطاولا بالكلمات، حتى تدخلت هي بينهم وتعمدت أن تسال أسر ماذا يريد دون أن تطلب من خالد الرحيل، ولكنه، أمسكها من ذراعها وسار بها بعيدا حتى وصلا لسيارته فأدخلها وانطلق بسرعه قصوى وعصبية.

نظرت له كم تشعر أنه أصبح غريبا عنها، بعيدا كل البعد عن ذلك الذي كانت تذوب به عشقا، نظرت للطريق من خلال النافذة لا تعلم أين يأخذها ولكن لا بأس ستدعه يظن أنه يمكس زمامها بيده، تركت الهواء يداعب شعرها ووجهها وأغمضت عينيها لم تشعر بهذا الهدوء من فترة كبيرة، هدوء ما قبل العاصفة.



وصل بها أسر إلى بيتهما دخلت دون أي كلمة منها منذ أن ركبت معه وتوجهت على الفور إلى غرفتها وجلست على الفراش بهدوء فتحت هاتفها وبدأت في مطالعة مواقع التواصل الاجتماعي فهي غائبة منذ فترة ومعجبي رسمها على شوق في انتظار الجديد منها، دخل الغرفة متعجبا من هدوئها وصمتها وأيضا من أنها تركت باب الغرفة مفتوحا

على غير عاداتها عندما تكون غاضبة منه، ولكنه وجدها باردة تعامله كالأغراب، وماذا كان يتوقع منها بعد فعلته الشنعاء، لكنها لو تدري أنه ما فعل ذلك إلا من أجلها، نحى أفكاره جانبا وحاول ربط كلماته بما لا يفكر، كم يتمنى نسيان رؤيتهما يجلسان معا، ولكن هكذا حال الأماني مستحيلة دائما، لم يكن يريد التطرق لأي مما حدث سابقا حاول أن تكون كلماته معها سطحية عابرة، حتى لا يجرحها بعدم اعتذاره أو تمزق نياط قلبه بشوك كلمات روحها المذبوحة، بيد أنها لم تمهله فرصة تجنب ترددي إحداهما بنصال سيف الآخر المسنون حيث نال من برودها وكلماتها الجارحة التي تشير لرغبتها الجمة في الابتعاد عنه حتى تكون مع خالد.

كان ذلك هو انتقامها، أن ترى نيران الغيرة يتطاير شررها من عينيه وينفث دخانها من خلال صوته الهادر حنقا على كلماتها الجليدية بقسوة يكاد يفقد معها شعوره بكل شيء، أن تجرحه بنفس السكين التي قتلها بها، اقترب منها كثيرا فظلت متماسكة لم تتحرك أو يبدو عليها الخوف على الرغم من ارتعاد أوصالها من نظرات عينيه الصقرية وصوته الغاضب، استجمعت شجاعته لتعيد إلقاء قنبلتها وهي تدعو الله ألا يتهور عليها:

- ما لك لا تصدقني، أكنت تتخيل أنني سأعيش حياتي معذبة من بعدك، أنت واهم يا عزيزي، فبينما أنت خنتني وتركتني للأيام تحفر حزني وتعمقه، كان خالد يداوي ذلك الحزن ويردم حفرة أجزاني قبل أن أسقط بها. بينما أنت كنت تتلذذ بالعبث مع غيري، تلذذ هو بتحمل حزني وانتظاري حتى..

قاطعها ممسكا برسغها بقوة ألتها جعلتها تقضم حديثها رهبا، بينما قطب جبينه بشدة وابتعد عنها بسرعة دائرا في الغرفة كالأسد الحبيس متمتما بكلمات لم تسمعها، التفت إليها ووجهه محتقن قائلا بغضب:

- أقسم بربي يا بشرى أنا لو لم أكن أعرفك جيدا وأعلم أن ما تقولينه إنما تقولينه لتثيري ضيقي فقط، فكان تصرفي سيختلف معك تماما.

ثم اقترب منها وأمسك ذراعها بقوة قائلا بصرامة أربتها:

- لكني لو سمعتك تقولين مثل هذا الهراء مرة أخرى أو تنطقي اسم هذا الكائن المدعو خالد بلسانك؛ فلا أظن أنني شخصا سأ توقع ردة فعلي وقتها.

ثم تركها وخرج مغلقا الباب خلفه بعنف كاد أن يكسره كما كسرها، ولكن ها هي خطتها لأخذ حقها تسير كما تريد لها تماما.

أغلق أمير هاتفه بعد أن أنهى محادثته مع أخته التي رحلت فجأة مع أسر بكامل إرادتها كما قالت له وقتها كان يريد الاطمئنان عليها ولكنها لم ترحه أبدا، تعجب من موقفها ولكنه أثر الصمت حتى يراها ويفهم منها سبب تحولها المفاجئ.

خرج إلى شرفه غرفته وجد نادر وشهد يلعبان ويجريان خلفها، يا إلهي ألن تختفى من أمام عيني، حتى لو اختفت من أمامه فكيف يمحو طيفها من خياله، كيف يمحو صوت ضحكاتهما من بين كل الأصوات التي يسمعها، مر أسبوع منذ آخر مرة تشاجرا فيها، ومن وقتها وهي لم تحاول أن تظهر أمامه بالفعل، ولكنها لم تسافر، سمع من بيسان أنها أرادت ذلك ولكن ليلى وبيسان تمسكوا بوجودها وعللوا ذلك لتهتم معهم

بنادر وشهد، وها هي قلت من نزهاتها كثيرا وتجلس مع الطفلين ولكنها كالعادة ترتدي ما يمكن لشهد ذات الخمسة أعوام أن ترتديه شورت قصير للغاية وبلوزة صغيرة فوقه، جسدها المكشوف دائما يقوده للجنون، يحمد الله أنها بداخل الفيلا ولا أحد يراها، دخل غرفته مرة أخرى قبل أن تلمح مراقبته لها، نزل للأسفل ليجلس قليلا مع ليلى، وجدها تتحدث في الهاتف مع والده تنهي مشاجرة جديدة من هؤلاء اللاتي كثرن بينهم في الأونة الأخيرة، جلس بجوارها أخذها يدها بين يديه، لقد علمت بما أخفاه مراد عنها، علمت عندما حضر هنا ليتحدث مع بشري، رأته جرح ذراعه الناتج عن طلق ناري غادر، جن جنونها ومن وقتها وهما في جدال حاد لأنها تود أن تعود إلى الإسكندرية وهو لا يرغب بذلك خوفا عليها، ولكنها لن ترتاح أو تهدأ حتى تكون بجواره، كيف يمكنها أن تظل بعيدة وروحها لديه بمكان آخر، كيف يحبسها بقفص ذهبي كطائر ثمين بحجة خوفه عليها، فهي دونه معرضة للموت ألف مرة باليوم، هو اجسها تتربص بها كصياد ماهر يحمل أعيرة نارية لا تخيب أبدا، ولذلك أخذت قرارها أن تعود إلى الإسكندرية اليوم حتى لو بمفردها قبل أن تنهار كمدا.

أطلق أمير زفرة متأففة وحاول منعها، وطمانها أن التحقيقات مستمرة والحراسة زادت على والده ولكنها تركته وصعدت لغرفتها وقبل أن يمضي قدما خلفها، وجد مهلكة قلبه تدخل من باب الحديقة الخفية تتضحك مع الطفلين ثم تطلق قذائف عينيها لثنايا قلبه مباشرة، وجلت عندما طالعتها بندقيته وترددت قليلا ثم قالت بخفوت:

- آسفة، لم أكن أعلم أنك هنا، عامة أنا سأخذ الطفلين في نزهة.

قال نادر بمرح غير عادي:

- نعم، وسوف نركب عجلا.

ثم لاحقته شهد قائلة وهي تقفز فرحا:

- وسأكل آيس كريم أيضا.

ابتسم لهما، وقلبه معلق بين يديها، تدارك نفسه قائلاً:

- حسنا، انتظروا سأتي معكم.

- لا، لا يوجد داعي لأن تتعب نفسك، يمكنك حتى أن ترسل معنا أحد الحراس.

لن ينتهي عقابها له ولا عقابه لنفسه بإبعادها عن محيط تواجد، فقال منهيًا عذابات قلبه محركا يده بالهواء بحركة عشوائية:

- ليس هناك تعب، كما أنك لن تتمكني من الاعتناء بالطفلين بمفردك وببisan ليست هنا، كما ليس منطقيا أن تظلي هنا دون خروج لن نحبسك بالطبع، تجهزي ثم أرسلني نادر لإعلامي فأنا بغرفة ليلي.

قالت ببساطة:

- أنا جاهزة، سوف أنزل كما أن ملابسي مريحة وخفيفة، أنهى حديثك مع لولا ونحن ننتظرك هنا.

حقا تقوده لحتفه بطائرة نفاثة، طالعها من فوقها لأخصص قدميها، استدار مبتعدا قليلا ضاربا كفاه ببعضهما ثم عاد إليها مرة أخرى قائلاً:

- أيمكنني أن أسألك سؤالاً؟

توجست خيفه منه ومع ذلك قالت بشجاعة ظاهرة:

- تفضل.

أطلق زفرة أخرى متأففة ثم قال وهو يدغدغ الطفلين بأصابع خفيفة:

- نادر خذ شهدا والعبا بالحديقة حتى تنتهي نهير من تغيير ملابسها،
هيا، هيا.

ضحك الطفلان من مزاحه وأسرع جريا للحديقة، نظر هو إليها قائلا
بأكبر قدر استطاع استحضاره من الهدوء:

- هل دوما تخرجين هكذا يا نهير؟؟

- لا.

- ولماذا تفعلين هذا بوجودي، أتريدين قتلي قهرا؟!!

أطلقت ضحكة رائعة من بين شفتيها الكرزيتين، قائلة:

- لماذا تموت قهرا؟! ثم إنني هنا بحريتي أكثر من أليكس.

- ألهمني الصبر يا الله، اصعدي للأعلى يا نهير وغيري أشباه الملابس
تلك أرجوك، وأنا منتظرك.

- لا، لا تضايق نفسك سأذهب بهم بمفردي.

كانت نظرات بندقيتيه تكفيان لتغير رأيها فورا وتصعد جريا للأعلى
لتغير ملابسها.

تتهد أخيرا فقد أنهى أول معركة ليصعد للأعلى ليرى ليلي ويحاول
إثناؤها عما تريد.

استطاع أمير إقناع ليلي بأن تنتظر لصباح اليوم التالي ويسافر معها
لمراد، وسيتحمل هو غضب والده عندما يراها معه، جاء إليه نادر مهللا
باستعدادهم لنزعتهم ترك ليلي ونزل إليهم، وجدها ترتدي بنطالا ماركة

الجينز وقميصا أزرق اللون واسعا ويتساقط كماه ليبرز ا كنفها ناصعا البياض، لم يعجبه قليلا ولكنه أرحم مما سبق وارتدته، أخذهم أمير بالسيارة لأسواق الحمام حيث إنه من أشهر الأسواق في الساحل وبه الكثير من المقاهي والمحلات التجارية لاحتياجات المنزل وألعاب الشاطئ والملابس، سارا بالسوق التي تشعرهم ببهجتها لحيويتها وتعدد ألوان الحياة بها، اشترى أمير المثلجات لشهد ونادر كما اشترى لهما عجلة ثنائية بيدال رائعة الألوان ركبها وسارا بها أمام أمير ونهير، دخلت نهير إحدى المحلات لإعجابها بمنتجاته المعروضة، أرادت شراء مضارب لعبه التنس دخل خلفها أمير فوجدها تلتقط المضارب وتفتحصها جيدا وتشرع بشرائها وعلى وجهها ابتسامة نقية لم يرها أمير من قبل، عندما سألها إذا كانت تعرف كيف تلعبه أم لا، رنت له باسمه الثغر حاملة النظرات، وقالت:

- نعم، أعرف كيف أعبه جيدا، لكنني لم أعب منذ فترة كبيرة.

افتقر ثغره لا إراديا عن بسمة سعيدة بها:

- هذا جميل، سوف الأعبك ونرى.

تعلقت عيناها بابتسامته النادرة بالنسبة لها ثم تداركت نظراتها وأشاحت بوجهها بعيدا محاولة فتح حقيبتها الصغيرة لتأخذ منها ما تحاسب به البائع لشراء المضارب والكرة، ولكنها وجدته يتحدث مع البائع بكل ثقة ويحاسب هو بل إنها عندما حاولت الرفض لتدفع هي لم يرد عليها بل نظر لعينيها العسليتين بعمق جعلها ترتجف داخليا وتنسى ما كانت ستقول، نظرته كانت كافية، دائما نظراته كافية لإرسال الكثير.

تخللت أصابعها بشعرها الثائر محاولة منها لتهديب مشاعرها الهائجة مثله، وخرجا معا لمتابعة السير خلف الطفلين بدراجتهما الجديدة، كانت

تود معرفة كيف يفكر، لماذا يتصرف معها هكذا كأنه مسئول عنها أو هي ابنته أو حبيبته العاصية، لماذا تشعر دائما أن أعصابه ثائرة باستمرار عند رؤيتها، كم تتوق للصراخ بوجهه مفصحة عن كل ما يعتمل بداخلها من أسئلة ولكنها اكتفت بسؤال بسيط لماذا لم يتركها تحاسب على مضارب التنس، إجابته كانت هادئة ولا تحوي سوى كلمات بسيطة لم ترضيها، فهي بضيفاتهم فقط لا غير، إجابة لا تكفيها مطلقا، استمر النقاش بينهما ما بين المزاح والجد على غير العادة ولأول مرة تقريبا دون صراخ، حتى كان رده على أحد أسئلتها، فهو يشعر أنها تائهة حائرة وكم يتمنى أن يكون هو بر أمانها ونهاية حيرتها:

- ليس تحكما كما تعتقدين، إنما هي نظرة لي أنا كرجل تختلف عنك تماما، مثلا ما الذي يجبرني أن أكون مع بيسان في أي مشوار تذهب إليه، متفرغ مثلا ليس لدي عمل، بالطبع لا، لكنني كلما أتخيل تعبها بالمواصلات أو أي مضايقات من أي نوع، أتحرك مسرعا لأكون معها، كما أنني أحب الوقت القليل الذي أفصل به معها عن العمل وإرهاقه بمزاحها المتواصل، أما موضوع الملابس الضيقة فذلك ليس به نقاش.

- ولماذا؟

- سوف أبسطها لك تماما، أتوافقين أن تخرج شهد وهي لا ترتدي ملابس مطلقا؟

- لا طبعا.

- لماذا؟

- لأسباب كثيرة جدا.

- أعطيني سببا واحدا من أولئك الكثير.

- ستمرض مثلا، تختطف، تحرش، تقع، تصاب، أسباب كثيرة.
- جميل جدا، هذا هو بالضبط نفس ما أفكر به أنا.
نظرت له فاعرة فاهها، لا تعلم بما ترد، غير أنها قالت بعد برهة:
- لكننا لسنا أطفالا نحن فتيات كبيرات نعرف كيف نحمي أنفسنا جيدا،
كما أن بيسان أختك بعكسي أنا.
تجهم وجهه قليلا وقال محاولا إنهاء النقاش في هذا الموضوع:

- أنت ككبييرة أخاف عليك أكثر، وأظن أنك ذكية بما يكفي كي تفهمي
قصدي، أما بالنسبة لأنك لست أختي فأنت أمانة تركها خالد معي، ولا
يمكنني أن أخون أمانته بإهمالها أو عدم نصحتها والخوف عليها مثل
أخواتي البنات وأكثر.

للمرة الثانية بهرما بتفكيره المختلف تماما عن تفكير حسام الذي لا يفكر
إلا بما يرضيه ويسعده هو فقط، وتذكرت قول بيسان لها إنها ستنتبه
عندما تسمع وجهه نظر أمير.

مر أسبوع على توأجهما معا، تعامله كالأغراب تماما حتى تعبها من
الحمل تحاول إخفائه أمامه على الأقل ولكنه يهب واقفا لمساعدتها دائما،
كم فرح عندما علم بخبر حملها من مراد، وكم تألم لعدم مشاركتها
فرحته تلك، طعامهم ترسله لها زينب مع السواق يوميا بناء على أوامر
مراد، تمر عليها الليالي كنيية حزينة باكية دائما، فقلبها الغبي مازال
يعشقه، لاتزال نبضاته تنطق باسمه فتبث بها دماء تحرقها داخليا، تشعر
أن نبضات اسمه تنطلق لكل أنحاء جسدها فلا تسبب إلا موت خلاياها
حزنا وشوقا أيضا، فلم تتمكن من تنقية دماها من حبه بعد.

لم تتعود النوم بعيدة عن دقات قلبه تحت رأسها كأجمل وسادة، وذراعاه تحبطان بها تبتها الدفء والأمان كأحن غطاء، ماذا تفعل لتنساه، ماذا تفعل حتى لا تشتاق صوته وأنفاسه..

- بشرى أنت بخير؟

استفاقت من أفكارها على صوته القلق عليها، انتبهت لدموعها تتساقط من عينيها كسيول ممطرة، سؤاله أثار أعصابها أكثر لم تتمكن من السيطرة على نفسها ولم تشعر بالكلمات تخرج من فيها كالفائف:

- ليس هذا من شأنك، أكون بخير أم لا شيء لا يخصك، وإن كنت لست بخير فلا بد أن تعلم أنك السبب بهذا، فلا تكن كالفائف الذي يبكي بجنابة من قتل.

ظهر الألم جليا على معالم وجهه عندما قال:

- كفى بشرى، أرجوك لا تتكلمي، فأنت لا تدريين كم مؤلم كلامك.

وقفت مبتعدة عنه قائلة وهي على حافة جبل الانهيار حاولت ألا تصل إليه طوال الأسبوع المنصرم ولكن ها هي وصلت إليها دون أن تشعر:

- بلى مدركة تماما، فكلامي مؤلم بمقدار الوجع الذي ألحقته بقلبي، مؤلم بقدر وجع خيانتك لي، بقدر وجع تركك لي دون أي تبرير لما فعلت، بقدر وجع خيانة صديقتي ورؤيتكما معا، بقدر كابوس كل ليلة الذي أصبح يرافق صحوي أيضا، بقدر حملي بطفل دون أن يكون أبوه بجواري، أنا منهكة ومتعبة كل أعصابي استهلكت كمسحة أرض بالية بيد خادمة لا ترحم من العمل، حرمتني حتى الاستلقاء بحضنك وأنا متعبة من حملي، حرمتني من أكثر إنسان كان يفهمني ويحبنى وكنت أعشقه، أهنت عليك لهذه الدرجة لكل هذا الوجع، لماذا، لماذا؟

قالت كلامها بصراخ وانهايار هي نفسها لم تتوقعه، ولم تضعه في حسابها سقطت أرضا لم تتحمل قدماها كل هذا العبء النفسي والجسدي، جرى عليها يحملها، احتضنها ورفعها بين ذراعيه ليعيدها للفراش مرة أخرى وهي تبكي وترتجف.

●●●●●●●●

لم يتمالك إبراهيم نفسه وألقى بالأشعة والتحاليل لتطير في الهواء وتسقط أرضا اندفعت إليه بيسان قائلة:

- ماذا حدث إبراهيم؟ ماذا تقول التحاليل؟

قال بعصبية:

- تقول هباب، كل شيء سيئ، لا أدري لما يحدث لها كل هذا أنها لم تؤذ حشرة بحياتها قط، لماذا تنال كل هذا.

- وحد ربك إبراهيم، إنها إرادته.

- أستغفر الله العظيم، ونعم بالله، لقد تعبت، أشعر أنني مشلول، يغتصبها المرض أمامي ولا يمكنني الدفاع عنها حتى بكل ما أوتيت من علم، والكيمائي لم يعد سوى وسيلة تعذيب، لا أعلم ماذا أخبرها، أم ماذا أقول لأمها التي تبكيها ليل نهار، لا أعلم، لا أعلم.

استند بظهره على الحائط عاجزا عن الحركة اقتربت منه حزينة لحاله لا تعلم كيف تمحو آلامه، قلبها يحترق وهي تراه يتعذب لفراقها ولكنها لا تملك سلطانا على قلبها الذي عشقه ولا تعلم كيف أو متى، حاولت كتم دموعها التي لا تعلم إذا كانت لحبه أم لوجعه أم خوفا على داليا، قالت بحزن:

- يا إبراهيم لا تفقد الأمل هكذا، قد تحدث معجزة ونشفى، لا بد أن نتحلى بالصبر، لكن الآن عليك أن تدخل غرفتها فهي والداها منتظرين نتيجة التحاليل بفروغ الصبر، قد يخرج والداها بأي لحظة ويراك منهارا هكذا.

- لن يخرج، طالما تأخرت هكذا فسيخشى أن تكون النتيجة سيئة، لو كانت النتيجة إيجابية كنت سأزف الخبر إليهم طائرا، أما الآن لا أعرف ماذا أقول.

- ما رأيك أن نخبرهم بأن التحاليل إيجابية لكن عليها استكمال العلاج لنسيطر أكثر على المرض، أعلم أن كلامي ليس دقيقا طبيا لكنها لن تعرف ذلك، فيكفيها ما بها لا داعي لأن تعرف خبرا سيئا آخر.

نظر لها مغيبا وقال:

- حسنا، حسنا، سأخبرهم بذلك.

ودخلا سويا لغرفة داليا هب والداها واقفا متسائلا:

- إبراهيم، هيا أخبرنا ماذا تقول التحاليل الأخيرة؟

لدهشتها سمعت إبراهيم يتكلم بصوت فيه بعض المرح وابتسامة صافية موجهة لداليا قائلا:

- التحاليل كلها بخير، وكيف لا تكون وهي تخص حبيبتي.

تنهدت أمها بارتياح وكانت تجلس بجوارها على كرسي ويدها مصحف تقرأ منه وقالت:

- الحمد لله، الحمد لله، ماذا سيحدث بعد ذلك يا بني، أستعود معنا للمنزل؟

جلس إبراهيم بجوار داليا على الفراش واحتضن رأسها بذراعه ويده الأخرى تمسك يدها وتداعبها بهدوء وحب، وقال رداً على والدتها:

- لا يا أمي، لن تعود الآن للمنزل، لا بد من استكمال العلاج، وتحاليل أخرى، حتى نسيطر على المرض تماماً.

نظرت له داليا بابتسامة واهنة وقالت بخفوت لم يسمعه غيره:

- أبداً لم تكن بالكاذب الجيد حبيبي.

نظر لها مبهوتا وتحجرت ابتسامته كما يده التي تداعبها، حاول فتح شفثيه للرد عليها ولكنها حركت يدها الأخرى بوهن لتلمس شفثيه وتمنعه من الكلام، ظلت نظراتهما معلقة ببعضهما ويدها تتلمس وجهه كله فخرج الجميع ليتركوهما وحدهما قليلاً، بعد أن خرجوا تلمست شفثيه بيدها مرة أخرى وقالت بخفوت من أثر تعبها:

- اشتقت إليك كثيراً يا إبراهيم.

انهارت مقاومته أمام وجهها الملائكي المنهك وسالت دموعه فتلقفتها يدها، احتضنها بقوة متمسكا بها حتى لا يتركها للموت، وسمعها تقول بوضوح:

- كم تبقى لي من الوقت حبيبي؟

ابتعد عنها مصدوماً قائلاً:

- داليا، ماذا تقولين؟!!

- أقول لك ما سيحدث، إنها إرادة الله لا حيلة لنا بها، أعلم أنك تخفي عني الكثير لكنني أعلم كل شيء من الممرضات، أنا خائفة إبراهيم، أخشى أن أموت هنا بالمشفى بمفردي، أريد أن أكون معك ومع شهد،

أتمنى احتضانها واللعب معها قبل أن أرحل تماما، أتمنى أن أموت بين ذراعيك..

قاطعها لاثما شفيتها بقوة كأنه بذلك يمنع عنها الموت، كما يمنعها مما تقول ويديمي قلبه، اختلطت دموعهما معا وسط قبلات إبراهيم الحامية فلم يتمكن من الابتعاد عنها، خوفه من فقدها أثار جنونه لم يوقفه غير ربه من يدها الضعيفه على صدره وأنين صدر منها علم أنه أنين وجع وليس شوق، توقف وأغمض عينيه بقوة ابتعد عنها قليلا قائلا:

- آسف، أوجعتك؟

- أنا التي عليها أن تتأسف فقد تحملت بسببي هموما تنأى الجبال عن تحملها.

- لا تقولي هذا أبدا، فأنا لم أعرف للسعادة طعما إلا عندما قابلتك، والآن سترحلين عني، ولا أعرف كيف أمنع هذا، بل لا أدري كيف لم أكتشف أنك مريضة من قبل، أنا أتمزق يوميا لمجرد تخيل أنك كنت متعبة وأنا مشغول بعلمي وأنا نيتي.

سالت دموعها أكثر قائلة:

- لا تفكر هكذا أبدا، طالما كنت لي نعم الزوج والحبيب والصديق، أنا أكثر ما يؤلمني أنني سأترككما بمفردكما من بعدي.

نحيبها الواهن زاد عذاب روحه وقهره قلبه، احتضنها مرة أخرى قائلا بحب:

- لن تتركينا أبدا، فلن أسمح بذلك مطلقا، وسنستكمل العلاج أيضا.

لثم شفيتها وابتعد فورا، خرج من غرفتها على مرأى من الجميع دون أن يبصر أمامه، دخلوا جميعا إلى داليا مرة أخرى.

استيقظت بشرى في الصباح الباكر لتجد نفسها بين ذراعيه، أزاحت يده التي تطوقها ونهضت من جواره نظرت له ولملامحه التي طالما عشقت، بعد انهيارها بالأمس أمامه وتفريغ كل الشحنة التي بداخلها، يخالجه الآن إحساس غريب وهي تراه أمامها، لم تعد تشعر بنفس الوجع والألم الذي كانت تشعر به منذ شاهدت خيانتته بأم عينها، خرجت من الغرفة كلها متوجهة للحمام ظلت تقف تحت المياه الباردة حتى شعرت بخمود البركان بداخلها، خرجت وارتدت فستانا وردي اللون بورود عديدة قطنيا بحمالات رفيعة قصيرة ويظهر جمال قوامها نظرت لنفسها في المرآة وتحسست بطنها التي لاتزال صغيرة فطفلها لم ينم بعد، ستتعافى من وجعها لأجله حتى لا تصله أحزانها ودموعها طالعتها في المرآة عينان أخرى غير عينيها التي تعرفهما بالخلج والبراءة طالعتها عينان قويتان قادرتان على أخذ حقها حتى الرmq الأخير، ستظل بمنزلها ولن تبارحه حتى تلد كما يريد ستثبت له أنها لم تعد تكترث لحبه بعد الآن، فالعبرة في التواجد بجوار من نحب دون أن تكترث لهم أو تشعر بشيء أما في الابتعاد وخوف الاقتراب فهذا يعني أنه مازال هناك شيئا من حبهم عالقا بقلوبنا.

فعندما ينهار كل شيء تتحول أنهار المياه الرقراقة لقنوات تحوي بداخلها حمما بركانية، تثور دواخلنا دون أن ندري أين المفر، تظل أرواحنا عالقة بالنيران تتعذب بها وتذيب من حولنا، بجحيمنا المستعر، عندما لا نجد مأوى للوجع غير صدورنا، نظن ألا مجال للراحة فتضيء أعيننا عاكسة فقط وهج نيران الآلام، تنهض أرواحنا على أطلال

الأسى، تتجمع طاقتنا من رماد الحمم فتثور نافضة كل الخوف متمنية بداية جديدة لترى بعيون مضيئة رحمة الأحزان بنا.

خرجت من الحمام شاعرة بنفس جديدة تنظر لكل ما حدث من بعيد وبهدوء وتروّ كانا بعيدين عنها من قبل، توجهت للمطبخ وأعدت لنفسها ولطفها إفطاراً رائعاً وجلست بغرفة المعيشة تشاهد التلفاز وهي تأكل، تذكرت الدواء الذي عليها أخذه حتى يقلل من ارتجاع الطعام مرة أخرى، فعادت لغرفتها تأخذه فقد اشتراه أسر لها، أقلت عليه نظرة عابرة وجدته يتقلب ويبدأ في الاستيقاظ، أخذت دواءها وغادرت لغرفة المعيشة مرة أخرى تأكل بهدوء وسكينة، نهض من الفراش بعد أن لمح مغادرتها الغرفة بدون حتى أن تنتظر إليه، كم يخشى تقلبات مزاجها الحادة تلك، نفص عنه آثار نومه القلق وصداعه القوي، وجدها بغرفة المعيشة جلس بجوارها على الأريكة الكبيرة، فنهضت مبتعدة عنه ألهذه الدرجة لا تطيق حتى الجلوس بجواره، حاول مجذبتها أطراف حديث بسيط يشبع روحه فقط بسماع أنغام صوتها ولكنها ضنت عليه بذلك حتى ردت على سؤاله البسيط ألن تسامحه يوماً؟! ظلت على صمتها برهة ثم نظرت إليه قائلة:

- أتذكر عندما سألتني إذا رأيت تصرفاتك كأنني شخص غريب عنك ماذا سيكون رأيي بك؟! أخبرتك وقتها أنني لا أحب أن أحكم على تصرفات أي أحد، فأنت حر طالما لم تضر غيرك، فأخبرتني أنك أنت نفسك لست راضياً عن نفسك الآن وقد تقتلها، حسناً، عليك فعل ذلك الآن.

وبالمناسبة عندما أخبرتك بحب خالد لي كنت أخبرك الحقيقة فبمجرد طلاقنا سوف أرتبط به رسمياً، ولا أقول لك ذلك لكي أضايقك أقوله لك لأنه واقع سيكون عليك التأقلم معه فأنا لم يعد يهمني أنتوجع أم لا.

وتركته وغادرت الغرفة بكاملها، بعد أن جعلته يحترق كعود كبير
تأكله نيران كلماتها ولا تتركه إلا رمادا متفحما، يتقد قلبه وينتفض قبل
الموت الدائم الأكيد.

- ليلي!

كان هذا هتاف مراد المتعجب وهو يرى زوجته تدخل عليه غرفته دون
سابق معرفة منه بقدمها، رأى بنظراتها إصرارا عجيبا على البقاء
بجواره فقد اشتعل فتيل الخطر بقلبيها بعد أن علمت بمحاولة إطلاق
نيران عليه وأصابته بذراعه بالفعل، ولكنها تسأل دائما وتريد إجابات
هو لا يملك معظمها، فهو لا يعرف من هذا الذي يتربص به ويصر
على التخلص منه، أسر أخبره أنه علم من رضوى ووالدها أنه رجل
أعمال آخر يسعى للحصول على شركته ومصانعه، ولكنه بالطبع لن
يخبرها بذلك حتى لا تخشى عليه أكثر، كما لن يخبرها بالطرق الملتوية
التي يتخذها أمير في المرات القليلة التي سافر فيها منهم وإليه ولا عن
الحراسة التي تتبعه لتأمين وصوله فلا يعرف أحد مكانهم، حاول إقناعها
بالعودة إلى فيلا الساحل خوفا عليها وعليهم لكنها رفضت تماما بل
جلست على الكرسي الفخم القابع بجلال بركان غرفة نومها واضعة
ساقا فوق الأخرى:

- مراد، انس تماما أن أتركك بمفردك، تفضل أنت الآن لعملك بالشركة،
وأنا سأنتظرك هنا لحين عودتك، فعليك أن تحكي لي كل شيء
بخصوص أولئك الذين يبيغون أذيتك أنت وأبنائي ثم استطردت بدلال:

- هذا غير أنني اشتقت إليك كثيرا.

نظر لها لا يدري بما يرد على هجومها الشرس في كلا الاتجاهين عقله وقلبه، تعجب من إصرارها، وهذه النظرات بعينها يعرفها جيدا فهي الآن لن تتنازل عن حقها في المعرفة أبدا، ارتدى معطف بذلته بعصبية ونزل للأسفل ليرى أمير ويكتف الحراسة.

أنهت نهير زينتها واستعدت للنزول بعد منتصف الليل وكانت ترتدي فستانا قصيرا ذهبي اللون يبرز جمال نحرها وساقها، أرسلت من هاتفها رسالة إلى أصدقائها أنها جاهزة وتنتظرهم في الخارج أمام الفيلا، وبالفعل لم يتأخروا في الوصول إليها، لم تدر بالحارس الذي أبلغ أمير بأمر خروجها وأنه أمره بتتبعها وإعلامه بمكانها فهو على وصول من الإسكندرية بعد أن أوصل ليلى لوالده بالصباح، وظل معهم طوال اليوم يتناقشون في أمر تكثيف الحراسة كما نسقوا الأمور مع المباحث العامة لمعرفة آخر ما وصلوا إليه في البحث عن يتربص بهم.

أعلمه الحارس بالمكان الذي وصلت له نهير وكان ملهى ليليا كبيرا من أشهر الملاهي الليلية بالساحل كله، أمر الحارس بالانتظار بالخارج، كما أجرى مكالمة هاتفية مع خالد أخيها وعلم منه أنه سيأتي غدا كما فطن أنه لا يدرك أي شيء من تصرفات أخته فأثر الصمت وقرر أن يتصرف هو معها.

وصل أمير للمهى وكما توقع كله صخب وشباب وفتيات تقريبا في أوضاع شبه مخله، بحث عن مهلكة قلبه بعينه لم يجدها، ويعلم الله ماذا ترتدي، أخيرا وجدها ويا ليته ما فعل، كانت تجلس بركن قصي هي وهذا الحسام يتضحكان ويتلامسان، يبدو أنها ليست في وعيها أيضا فبيدها كأس خمر، كما أن حسام هذا يلثم يدها ورقبتها ووجنتها، لم ير أمير أمامه لم يشعر إلا وهو يندفع ليجذبها بعيدا فيطير كأس الخمر من

يدها ويلكم حسام في فكه ليعيده مكانه بعد أن وقف احتجاجا، جرها من يدها وسط صراخها وبسرعة استدعى الحارس من هاتفه وقبل أن يغلقه وجد حسام وأصدقاء له يحيطون بيه وبها وقف أمامهم كالنمر فكلهم سكارى لن يشكوا له أي مشكلة اشتبك معهم واحدا تلو الآخر حتى أتى الحارس أجهز على البقية الباقية وأحاط بهم هو وآخر معه حتى خرجوا من الملهى، أدخلها أمير بسيارته وأمر الحارس بالسير خلفهما.

- أريد أن أفهم الآن ما كل تلك الهمجية، وبأي حق تأخذني بهذه الطريقة.

قالتها نهير صارخة به بعد أن ركب السيارة وانطلق بها، فقال معنفا إياها:

- ألك عين لكي تتكلمي وتعترضني، احمدي الله أنني لم أقتلك وأنت بأحضان هذا الحيوان يفعل بك ما يخلو له.

- احترم نفسك، أنا لا أسمح لك!

- فلنصمتي تماما ولا تفتحي فمك!

وبالفعل لم تفتح فاهها حتى وصلوا للفيلا وصعدت غرفتها وأغلقتها.

•••••

لم ينم أمير طوال الليل، صورتها في أحضان هذا الحيوان تعذبه وتشوي قلبه على نار حامية، يشعر باحترق في جميع أنحاء جسده ظل يتحرك في الحديقة ذهابا وإيابا ناظرا لنافذة غرفتها يرى ضوءها منيرا ينتابه شعور أهوج بالصعود إليها وصعقها بنيران قلبه، لا يعلم لما هي بكل تهورها وعنادها وأخطائها، بكل اختلافها عنه وعن تصوره لمن ستملك قلبه، لم هي مهلكته ومعذبتة؟! لقد رأى كثيرات مثلها لماذا يحدث له كل

هذا أمام عينيها هي فقط، وكيف يتركها ويبعد وهي منغمسة في هذا المستنقع البشع والذي لن تخرج منه سوى بكارثة محققة، عليه أن ينتشلها بيده حتى لو دون إرادة منها.

نفث دخان سيجارته الألف يحرق تبغها كما يحترق قلبه، أطفاها في المطفاة الموضوعه على الطاولة الصغيرة بالحديقة فكان مواجهها لباب الفيلا الداخلي، شاهدها تنزل السلم مسرعة بعصبية، يبدو أنها تبحث عن شخص ما، أشعل سيجارة أخرى ووقف ناظرا لامتداد البحر أمامه وللغزاة التي ترسل أولى أشعتها لصباح يوم عاصف كما يبدو.

هبطت يدها الصغيرة على كتفه تنبيهه لوجودها فالتفت إليها مكشرا عن وجه عابس، يخفي دواخله، كانت ترتدي نفس الفستان الفاضح الذي كانت ترتديه بالأمس وعيناها منتفتختان وحمراوتان، بدون المساحيق التي كانت تغزو وجهها فبدت في عينيها أجمل بكثير باحمرار وجنتيها الطبيعي وشفتيها المنتفختين من أثر البكاء، استفاق من أفكاره على صوتها قائلة بعصبية:

- هذه آخر مرة أسمح لك بالتدخل بحياتي، وآخر مرة تتحدث معي بهذا الأسلوب، كما أنني لن أظل هنا وسأرحل في الصباح الباكر، لأرتاح من تسلطك وتحكماتك.

وكادت أن تبتعد غير أنه أمسك ذراعها وأعادها أمامه قائلاً بصرامة مخيفة:

- أهذا الوغد لمسك أكثر مما رأيته بالملهى؟

- اترك ذراعي، كيف تتحدث إلي هكذا!

- انطقي، جاوبي على سؤالي، أهذه أول مرة يقترب فيها منك هكذا؟ أم إنه معتاد ذلك وأنت تسمحين له؟

لم تشعر إلا وهي تصفحه للمرة الثانية، ولكنها لم تتوقع أن ترى بندقيته يشتعلان فعلا بهذا الشكل، قال بخفوت مخيف:

- لثاني مرة تفعليها نهير، وأقسم لك أنك ستندمين.

وفجاه ألقى بسيجارته أرضا وسحقها بقدمه ثم جذبها من خصرها بقوة، أطبق شفاته على شفتيها بعنف، حاولت إبعاده ولكنه أقوى منها بمراحل أغمضت عينيها وسالت دموعها وشعرت بشفتيه ترحم شفتيها قليلا وتلين عليها فحاولت إبعاده مرة أخرى، ولكن هيهات، لم تعرف أنه كان خارج كل سيطرة حاليا، كان يحتضن شفتيها بشغف وذراعيه تحيطان بخصرها وظهرها، تبللت شفاتها بدموعها، توقفت يداه عن الحركة كما شفاته وفجأة نفضها بعيدا عن حضنه وابتعد سريعا مخللا يده في شعره، ثم قال بغضب دون أن ينظر إليها:

- تفضلي بالذهاب لغرفتك ولا أريد أن أرى وجهك خارجها.

زاد بكأؤها الذي كتّمته جرت مسرعة لغرفتها منهكة القلب والعقل كما هو تماما.

الفصل الحادي عشر:

كانت طلبات إبراهيم من رابع المستحيلات بالنسبة للمستشفى، أن يطالب بتكملة داليا لعلاجها في المنزل كان طلبا فريدا من نوعه خاصة في حالتها المتأخرة فتحتاج أن تكون تحت إشراف طبي باستمرار وأجهزة كثيرة وأدوية أكثر بمواعيد دقيقة هذا غير الكيماوي الذي تأخذه، لم يبال إبراهيم لكل هذا الهراء كما قال فهو سيجوز لها غرفة بمنزلهما وسيحضر ممرضتين كما أنه سيياشرهما وأمها ستكون متواجدة ووالدها وشهد أهم واحدة لتحقيق أمنية داليا، ومع رفض طبيها التام خروجها من المشفى وسفرها عائدة للإسكندرية اقترح أمير أن تجهز الغرفة التي يريدتها إبراهيم في فيلتهم بالساحل وبالتالي تكون تحت رعايتهم جميعا، رفض إبراهيم ولكن الطبيب خيره إما أن يوقف العلاج تماما لتأخر حالتها أو تظل بالمشفى أو ينفذ اقتراح أمير، وافق إبراهيم على مضمض لأنه في المقابل رفض قطعيا أن يوقف علاجها، كانت بيسان تراقب كل هذا بقلب دام وعيون زائغة الادراك، دفنت كل ذلك وركزت على داليا ورعايتها فهي تستحق كل الخير.

بعد أن تم نقل داليا إلى غرفتها بفيلا الساحل دخل عليها إبراهيم ليتأكد من حالتها ويطمئن قائلا:

- كيف حالك الآن حبيبتي؟ ما رأيك، كل ما طلبتيه تحقق، تركت المشفى وشهد بجوارك وأنا سأظل معك حتى تملين مني، وأيضا علاجك سيكتمل، وإن شاء الله سيحقق نتيجة.

قالت له بأسى:

- لكنني لم أطلب أن أكمل علاجي يا إبراهيم.

اقترب منها أكثر وأمسك يدها قائلاً:

- حبيبتي لو يوجد احتمال واحد في المليون أن العلاج سيحدث فرقا حتى لو بسيط فلن أفرط به، إن كنت حزينة لأجل شعرك فأنت بنظري جميلة دائما وأبدا، كما أن بيسان تحضر لك مفاجأة.

حاولت أن تبتسم متسائلة:

- ما هي تلك المفاجأة؟!

- انتظري ثواني.

دار على عقبيه لينادي بيسان التي عادت، قائلة:

- لو سمحت يا دكتور تفضل أنت بالخارج، سننهي عملنا هنا وننادي عليك.

وبالفعل أغلقت الباب على ابتسامته البشوشة التي تلمس ثنايا قلبها، التفتت بابتسامة مرحة لداليا قائلة:

- أجاهزة؟

بعد نصف ساعه تقريبا فتحت الباب ونادت على إبراهيم الذي دخل مسرعا وشهد في ذيله، تسمر أمام الباب عندما أبصر زوجته الغالية، ألبستها بيسان شعرا مستعارا جميلا شبيها بشعرها الأصلي ولكن بقصة أجمل عليها وأضاف قليلا من مساحيق التجميل فأخفت الوهن والتعب والإرهاق من ملامحها الرقيقة العذبة، اندفعت إليها شهد وصعدت تجلس بين ذراعيها قائلة:

- أنت جميلة للغاية أُمي!

- عيونك هي الجميله حبيبتى، أنا أحبك جدا، وأريد منك تسمعي كلام بابا، ولا تجعله يغضب منك سواء هو أو جدك أو جدتك، حسنا حبيبتى، هذا اتفاق صغير بينى وبينك ولا أريدك أن تنسيه أبدا.

- حاضر يا مامى.

ثم قبلتها واحتضنتها بقوة، وانطلقت لتكمل لعب مع نادر، مع خروجها ارتطمت بإبراهيم مما جعله يستفيق ويتوجه إليها عيناه لا تفارق عينيها، أمسك يديها بين يديه وقبلهما شوقا قائلا:

- ما كل هذا الجمال! اشتقت إليك كثيرا حبيبتى.

هنا غادرت بيسان الغرفة دون أن يشعر بها بتاتا وأغلقت الباب خلفها متألّمة، بينما قالت داليا:

- وأنا اشتقت إليك أكثر يا حب عمري، لقد أكدت لي أن تمسكي بك كان أحسن قرار اتخذته بحياتي وأن قلبي لم يكذب عليّ، أنا أحبك للغاية وبسببك سوف أقضي ما تبقى لي وأنا بقمة سعادتي، حتى مع الكيماوي والمرض، أيمكنك احتضانى؟ أتوق لسماع دقات قلبك.

اغرورقت عيناه بالدموع لكلامها الذي يختلج له قلبه، وقال مازحا:

- طلباتك أصبحت كثيرة للغاية.

ابتسمت بوهن وقالت:

- دفننى بين أحضانك حبيبتى.

فاضت عيناه بالدمع وقال وهو يقبل شفقتها:

- كم أتمنى ذلك.

قبلها برقة وشوق ثم احتضنها متشبثا بها بين أحضانها الملتاعة، احتضنته هي الأخرى وظلت يدها تمسد على ظهره ثم توقفت وسقطت يدها بجوارها فجأة، فقال برهبة:

- أتعبتي حبيبتى؟! -

عنا لم يتلق ردا منها ابتعد قليلا نظر لوجهها يعرف هذه البسمة وهذه النظرة الخاوية، هذا الشحوب الأزرق الذي كان يخشاه طوال الوقت:

- داليا.. داليا، أنت غفوتي؟ داليا حبيبتى.

عبراته اختلطت بكلماته المرتعشة، ابتعد وأحضر جهاز الإنعاش الكهربائي، مناديا بأعلى صوت له:

- بيساااان، بيساااان.

دخلت إليه بيسان تجري مفزوعة قائلة:

- نعم، نعم، ماذا هناك؟

- أحضري الممرضة، الآن، فورا!

انطلقت تنادى على الممرضة بينما كان هو يشغل الجهاز ويصعقها به، لم تستجب، فصعقها مرة أخرى، جاءت الممرضة تجري فأمرها أن تزيد الشحنة وصعقها مرة ثالثة ورابعة وخامسة، حتى توجهت إليه الممرضة قائلة:

- كل شيء انتهى يا دكتور إبراهيم، سعدت روحها للذي خلقها لا تعذبها أكثر.

- تفضلي بالخارج، هيا، هيا!

وظل هو يحتضنها تارة ويضغط على صدرها بيديه تارة أخرى عله
ينعش قلبها الصغير متمتما:

- هيا ياداليا، هيا حبييتي، لقد كنت بخير، ماذا حدث، هيا داليا، هيا، هيا،
تنفسي مرة أخرى، تبسمي بوجهي وقولي إنك غفوت، هيا حبييتي،
داليا، داليا.

وهنا توقف وجذبها إليه واحتضنها ملتاعا لفراقها جاءت أمها وأبوها
باكيان وأقبل أمير يبعه عنها وهو يصرخ:

- اتركني يا أمير، اتركني، هي بخير، كانت تحتضنني منذ قليل، هي
بخير، لم تتركني، لم تذهب وتتركني الآن، لا، لا!

- اهدأ إبراهيم أرجوك، حرام عليك ما تفعله بنفسك، اطلب لها الرحمة
فهي بين يدي من هو أرحم بها منك.

انهار إبراهيم على أقرب مقعد وظل يبكي حبه وزوجته التي وقفت
بجواره وأحبتها، بكى ابنته الصغيرة بكى قلبه بدونها وحياته كلها التي لن
يكون لها أي معنى بدونها، يشعر أن قلبه سيتوقف ألما ولا يدري كيف
يجعل ألمه يتوقف قبلا.



عم الحزن والسواد في جميع أرجاء الفيلا، على الرغم من عودة جثمان
داليا للإسكندرية ليدفن هناك بمدافن عائلتها، ولكن شهد ظلت معهم
بالفيلا لتعتني بها بيسان ولتعلقها الشديد بها، مر أسبوعان على وفاة داليا
الأليم لم ير فيهم إبراهيم ابنته، وعلمت بيسان من أمير أن والدة داليا
تعبت وترقد بالمنزل حزينة على فراق ابنتها الوحيدة، وأن إبراهيم معهم
دائما ليطمئن عليها.

أخبرت بشرى أختها حالة إبراهيم السيئة وقت العزاء الذي حضرته بصحبة أسر وليلي ومراد، ولكن لم تخبرها بأنهم قابلوا خالد أثناء خروجهم وأن أسر كاد يفعل معه مشكلة ومنعه حتى أن يسلم عليها.

مرت ثلاثة أشهر بعد وفاة داليا، عادوا جميعا بالطبع من فيلا الساحل تحت حراسة مشددة، ظلت شهد مع بيسان في فيلا العائلة، حتى عندما حاول إبراهيم أن يقنعا بالعودة معه للمنزل رفضت وتشبثت ببيسان بشدة وظلت تبكي كثيرا طالبة أمها أخذتها بيسان بين حضنها ونظرت لإبراهيم أسفة فغادر فوراً دون أن يعقب بأي كلمة، كان يأتي من وقت للأخر ليراها وهو صامت وحزين فتجلس معه الطفلة قليلا ويعطيها لعبة أو حلوى ثم تجري لتتقاسمهم مع نادر، يطمئن على أخبارها من بيسان ثم يغادر ويأخذ قلبها معه.

جاء وقت الدراسة وسيذهب نادر للمدرسة وأيضا لا بد لشهد أن تدخل ذهبت بيسان لإبراهيم في العيادة كي تتحدث معه بعيداً عن تواجد شهد ونادر، وعندما دخلت له تفاجأ جداً وقال:

- بيسان أهلاً، أهلاً، كيف حالك، منذ متى وأنت هنا؟ كيف لم تخبرني الممرضة بالخارج أنك هنا!

تبسمت بيسان وجلست قائلة:

- لا أبداً، لقد أخذت دوري بالكشف كي لا أعطل المرضى.

- كشف! أدفعتي أيضاً، وتلك الهانم بالخارج كيف لم تخبرني!؟

وقبل أن تعترض بيسان كان قد رفع سماعة الهاتف بجواره وطلب الممرضة بالخارج وعندما أتت قال بعصبية:

- أنت يا هانم ألا تعرفين الأنسة بيسان، كيف لم تدخلها فوراً وتركتها تدفع أيضاً!

ارتبكت الممرضة المسكينة وقالت متعلّمة:

- بالله يادكتور لا أعرفها، آسفة يا أنستي حقا سامحيني.

ابتسمت لها بيسان وقالت:

- حصل خير لا تقلقي.

بينما قال إبراهيم:

- تفضلي لوسمحتي أعيدي إليها الكشف الذي دفعته، وعندما تأتي مرة أخرى تدخل فوراً، وأحضري قهوتي وعصير للأنسة، هيا.

وبعد أن خرجت أشعل إبراهيم سيجارة ونفت دخانها، فقالت بيسان بأسف:

- لمّ كل هذا إبراهيم؟ البنت ليس لها أي ذنب ولا تعرفني.

وعندما لم تتلق جواباً قالت بهدوء:

- لقد أتيت إليك اليوم بخصوص شهد.

رفع عينيه إليها مهتماً وقال:

- ما بها؟ أهي بخير؟

- نعم، بخير الحمد لله، لكن أنا أريد أن أقدم لها بمدرسة، إن الدراسة تبدأ الأسبوع القادم، ونادر سيبدأ أيضاً، وهي من المفترض أن تدخل كي جي ون على حسب ما كانت داليا أخبرتني.

نظر لها مندهشا فقد نسي كل شيء عن مدرسة شهد تلك، نفث دخان سيجارته قائلاً وهو يفرك جبهته بأصابعه:

- نعم، فعلاً لقد كنا قدمنا لها بمدرسة وقبلوها بالفعل، لكنني لم أتابع بعد ذلك حيث انشغلت في.. مرض داليا، رحمها الله.

ارتبكت ولم تعرف كيف تجمع كلماتها مازال متأثراً بموت زوجته ولا يزال يحبها بنفس القوة، كم هو نادر الوجود في كل شيء، استجمعت أفكارها بعد برهة وقالت:

- حسناً، هل لديك أرقام المدرسة؟ كي تعرف متى ستذهب وتحضر كتبها والزي الرسمي للمدرسة، وأكد سيطلبون طلبات أخرى مثل كل المدارس الخاصة.

- لا رقمهم أيضاً كان مع داليا، لا بد أن أذهب بنفسى، المشكلة ليست هنا المشكلة أن المدرسة ستكون بعيد جداً عن فيلا مراد وشهد لا تريد أن تتركك، وأنا لا أعلم كيف أتعامل معها وأقنعها بالمجيء معي.

- ما رأيك أن نقدم لها بمدرسة نادر؟ قريبة منا وتذهب وتعود مع نادر بسيارتنا ومعهم السائق.

- لا يا بيسان، هذا كثير للغاية، يكفي جداً أنها أصبحت إقامتها دائمة لديكم، من المؤكد أن لديك حياتك التي تريدين أن تحييها بدون قيود طفلة تتعلق برقبتك، سأتي إليكم خلال يومين وأتحدث معها فلا بد أن تعود معي إلى بيت والداها.

- لا تقل مثل هذا الكلام إبراهيم، أنا أحب شهد جداً، كما أنني أعيش حياتي الطبيعية بكل أريحية، فليلي تتولى معظم المهام المتعلقة بشهد مثلما تفعل مع نادر تماماً، وهي تقضي معظم وقتها بالحديقة مع نادر،

الفكرة فقط أن تبعد هي عن جو المنزل الحوين بدون داليا، كما أنك بالخارج طوال اليوم ستتركها مع من؟

صمت قليلا فكل كلامها صحيح وهو السبب الرئيسي الذي جعله يتركها لديهم، بينما أكملت هي:

- لكنني كنت أريد أن ألفت نظرك لشيء، أسمح لي؟

ابتسم قائلاً:

- تفضلي طبعاً يا بيسان، أنت مسموح لك بقول أي شيء تريدينه في أي وقت.

قالت بارتباك:

- علاقتك بشهد ليست جيدة على الإطلاق، أنت لا تحضر لتراها كثيراً، وعندما تحضر تكون جافاً وحزيناً معها، هي طفلة لا تفهم ذلك، وأخشى أن يحدث ذلك فجوة بينك وبينها، لا بد أن تتقرب منها أكثر، هذا غير أنك أصبحت عصبياً للغاية، فيكفي ما فعلته بالمرضة منذ قليل، أعلم أنك لا تزال حزينا لفراق داليا ولكن هل تظن أنها ستكون سعيدة وهي تراك تبعد عن ابنتكما، وعن نفسك التي اعتدنا منها الطيبة والحنان والتواضع.

استمع إليها مغموماً، يعلم صحة كل كلامها، فهو نفسه كل يوم يعنف نفسه ألف مرة على أخلاقه التي تتدنّى يوماً بعد الآخر، ولكنه لم يعرف كيف يرد عليها فقال بخفوت دون أن ينظر لها:

- معك كل حق، أنا آسف حقاً لكل ما تكبّدتموه من عناء من أجلي.

احتارت بما تجيبه وهو بهذا الضعف وهذه الأخلاق، توقعت منه مخالفة ما تقول ولكن هذه الموافقة جعلته يملك قلبها أكثر دون أن يدري، حاولت أن تقول بهدوء:

- سوف أخبر شهد أنك ستحضر يوماً بعد يوم لتراها، ويا ليت لو كل يوم، وحدثها باستمرار بالهاتف من أجل أن ترتاح روح داليا وتطمئن على ابنتها.

نظر لها بحدة ودمعت عيناه يكفي ما تقول ستقلب عليه كل جوارحه التي كان يدفنها طوال الأشهر المنصرمة، لم كلامها يطرق زناد مشاعره هكذا فتندفع كالطاقة تصيبه بقوة قاهرة، نهض من مكانه ومد يده ليسلم عليها وينهي المقابلة قائلاً:

- أشكرك كثيراً بيسان، سأحاول أن أفعل كما قلت تماماً، أنا آسف ولكن أكيد المرضى منتظرين بالخارج.

وقفت مستنكرة تناقضه الفج، متعجبة ما يقول وما يفعل واعتبرتها إهانة لها ولم تسلم عليه وأخذت حقيبتها واندفعت خارجة، لاحظ ما فعل وتفهم غضبها بالطبع فهو الغبي الذي قال كلاماً لا يعرف من أين أتى أصبح غضبه غير مسيطر عليه بالمرّة ولكنه لن يستسلم لحالته تلك فبيسان وشهد لا يستحقان معاملته تلك إطلاقاً.

اتسعت عيناه نهيرو وقفزت من فوق فراشها قائلة بذعر:

- نعم، ماذا تقول يا خالد!

- هذا ما أخبرني به حقاً.

- وأنت ماذا قلت له؟

- ماذا سأقول! سأسألها وأبلغك بالرد، لو أردتني رأيي فهو إنسان رائع ومعجب بك للغاية وافقي على خطبة تعرفيه جيدا خلالها على الأقل.

ظلت حدقتها متسعيتين حتى ظنت أنها نسيت كيف تغلقهما، من هذا المعجب بها، فهو يتمنى قتلها بالأحرى، لا تعلم كيف يجرو على طلب يدها بعد ما حدث بينهما آخر مرة، لقد تخيلت أنها لن تراه ثانية بحياتها أبداً، ولكن يبدو أنه سيظل يثير حيرتها بتصرفاته التي تجعلها تستشيط غضبا، قاطع خالد أفكارها قائلاً:

- هيا، بماذا أرد عليه؟

كادت أن ترد عليه بالرفض ولكنها تراجعته وقالت وهي تربع ذراعيها:

- اتركني يومين أفكر.

ابتسم خالد واقترب منها قائلاً:

- حسنا حبيبتي، فكري جيدا، لكن صدقيني لن تجدي أحسن من أمير.

هزت رأسها دون أن تتمكن من النطق، بينما تركها خالد في غرفتها وانصرف لعمله ولوجع قلبه الذي لا ينتهي منذ غيابها عن عينيه ما يؤلمه أكثر أنه لا يقدر على فعل أي شيء، فهو معذب بها منذ رآها لأول مرة، وستظل نكراها تعذبه حتى إشعار آخر.

أخذت نهير هاتفها لا بد أن تكلمه، هذا المجنون، وتعرف فيم يفكر يطلب يدها من أخيها، رقمه لديها لقد سجله عندها وأخذ رقمها قسرا وهي مغادرة فيلا الساحل بعد وفاة داليا، طلبت الرقم وبعد دقائق رد صوته العميق قائلاً بسخرية:

- كنت متأكد أنك ستحتاجين لي، لذلك حفظت رقم هاتفك بهاتفك، أنرتي هاتفك بصوتك عزيزتي.

- ماذا تريد مني؟ تعلم جيدا أننا لا يطبق أحدنا الآخر، ومع ذلك تطلب يدي من خالد والأدهى أنك أوحيت له أنك تهيم بي شوقا.

أطلق ضحكة ساخرة قال بعدها:

- وهذا ليس حقيقيا!؟

- لا طبعا، أتحب أن أخبره كم مرة أهنتني، أم أخبره كم مرة هبطت يدي على وجهك حتى يتأكد من مدى عشقنا لبعضنا البعض.

قال جادا:

- أوتحيين أن أخبره بعد آخر مرة هبط فيها كفك على وجهي ماذا حدث؟ أم إن هناك احتمالا لأن تخجلي؟

- أنت وقح!

- وأنت تحتاجين إعادة تربية، وأنا أتوق لتولي تلك المهمة.

أخذت نفسا عميقا وحاولت أن تهدئ من روعها ثم قالت:

- لو أنك تفعل كل هذا لتضايقتني، فتأكد أنك ضايقتني حقا ولأقصى الحدود، سوف أبلغ خالد برفضك، وأنت من فضلك ابتعد عني.

- حسنا، افعلها وارفضي، وسوف يحدث ما لا يحمد عقباه أو تتخيليه في أبشع كوابيسك.

وأغلق الخط في وجهها، نظرت للهاتف باستنكار غير مصدقة ما قال وما يفعل، تجاوزت دهشتها واتصلت بحسام تعلمه بالأمر فقال لها:

- اهدئي حبيبتي، وفكري جيدا، وعندما أراك نتحدث بكل شيء، على الرغم من أنني أرى أن الموافقة لن تضيرك بشيء، وأثناء الخطبة ضايقيه حتى يتركك هو.

- وأنت أَلن يضايقك أن أخطب لغيرك!؟

- سوف يضايقني ذلك بالطبع، لكنه وضع مؤقت، كما واضح أنه يهددك بأن يخبر أهلك بعلاقتنا، فطاو عليه حتى نفكر سويا ماذا سنفعل.

- أنت جاد بما تقول!؟

- نعم يا حبيبتي، هيا لا بد أن أغلق الهاتف الآن فلدي أعمال كثيرة، وستحدث عندما أراك.

- مع السلامة.

وأغلقت الهاتف مشوشة ومبهوتة، لا تعرف ماذا تفعل، تشعر أنها وحيدة في شارع مظلم تنهال عليها الأمطار لا ترحم جلست على فراشها وتفوقعت لا تدري ماذا تفعل غير ما أخبرها به حسام فهي حاليا كشبكة الهواتف النقالة لا تعرف إذا كانت غير متاحة أم خارج نطاق الخدمة.

الفصل الثاني عشر:

كبرت بطن بشرى قليلا لقد أصبحت في شهرها الخامس، وعرفنا أنها حامل بولد، فرحت كثيرا كما فرح أسر الذي أصبح يرافقها في كل مرة تذهب فيها للطبيب، ولكن دون أن يتحدث معها أبدا، كان يتأخر في عمله دائما يعود ليأكل ويذهب مرة أخرى يعود بعدها فجرا، لم يحاول أن يضايقها ولا حتى بالكلام.

عاد اليوم من عمله مبكرا على غير عادته، دخل غرفته فورا وسمعت صوت خبط وتكسير ولكنها لم تكثرث أخذت غداءها وجلست لتأكل، وفجأة وجدته يخرج من غرفته متوجها إليها في غرفة المعيشة أغلق التلفاز ووقف قبالتها قائلا بحزم:

- أنهى طعامك، وحضري حقيبتك، ستذهبين لفيلا والدك اليوم.
- نعم! وأنا مثل عروس الماريونت تحركها بين أصابعك كما تشاء! لا، أسفة أنا متعبة ولا أستطع الحركة.
- أتهرجين، أنا لا أعب معك هنا! لا بد أن تبتي بفيلا والدك اليوم تحت الحراسة هناك، أنا لن أخاطر أكثر من ذلك!
- ماذا يعني كلامك هذا؟ لم أفهم شيئا مما تقول!
- ليس مهما أن تفهمي الآن بشرى، هيا أرجوك يجب أن تكوني هناك الليلة.

وضعت طعامها على المنضدة أمامها واضجعت بكل أريحية قائلة:

- وأنا لن أتحرك إلا إذا أفهمتي ماذا يحدث.

من تصميمها البادي في عينيها علم أنها لن تتحرك إذا لم تفهم ما يجري ولكنه لن يخبرها بكل الحقيقة لن يتمكن من النزول بنظرها أكثر من ذلك فجلس بجوارها وقال:

- أتذكرين عندما تسم نادر بعد زواجنا بقليل؟

- نعم، بالطبع أذكر.

- وقتها عمي مراد والمباحث اكتشفوا أنها كانت مقصودة وليست مجرد حادثة.

اتسعت عيناها قائلة:

- كيف ذلك؟!!

- بعد ذلك بشهر تقريبا، ضرب طلق ناري على عمي مراد، وكنتن وقتها بفيلا الساحل، وهو لم يشأ أن يثير قلقك، حتى علمت ليلي صدفة، ولذلك عادت هي إلى الإسكندرية، ولذلك أيضا تم تعيين حرس خاص معكم جميعا ويوجد تحت بيتنا الآن أيضا حارسان.

وضعت يدها على فمها من صدمتها وقالت:

- ومن الذي يريد إيذاء أبي؟!!

كان هذا هو السؤال الذي يشغل الجميع ولم يتوصل أحد لحقيقته بعد إلا هو، ولكنه لن يتمكن أبدا من الإفصاح..

- تكلم يا أسر أخبرني.

- لا أحد يعلم بعد، هذا عمل المباحث، الآن وقد علمتي كل شيء هيا أرجوك لكي أخذك لهنالك.

- ألا تقول أنه يوجد حراسة لنا هنا، إذن لمَ الخوف وإصرارك على عودتي للفيلا؟

احترار بما يرد عليها ولكنه قال:

- لأنني خارج المنزل معظم اليوم وسأظل قلقا عليك وأنت بمفردك.

- أنا بمفردني منذ شهر أسر ما الجديد؟!

نهض من مكانه بعصبية قائلاً:

- ياإلهي، أئن تسمعي الكلام أبدا دون جدل عقيم!

- لا، لن أسمع، لأنك تقول أي كلام، أبدا لا تعرف كيف تخفي علي شيئا، وأنت الآن تخفي أشياء أسر.

- لا، لا أخفي أي شيء، أرجوك هيا لن أظل أتحايل عليك طوال اليوم.

وتركها وانصرف، ولكن كلا قلبها يحدثها بشيء أكبر مما قال كما حدثتها عيناه تماما فبرغم كل ما حدث بينهما إلا أنه لم يعرف بعد كيف يأمر عينيه بالكذب عليها.



خرجت بشرى من غرفة المعيشة لتتكلم معه ثانية وتعلم لمَ هو مصمم الآن أن يعيدها للفيلا توجهت لغرفته وفتحت الباب بقوة فوجدته عاري الصدر يستعد للاستحمام قبل أن ينزل معها ثانية، بينما ارتبكت هي وتاهت منها الكلمات، وسمعتة يقول:

- نعم، ماذا هناك أيضا؟

أراح جسده على الفراش وربع ذراعيه بينما هي تقول بانفعال:

- أتريد أن تقنعني أنك فجأة وبعد شهر أصبحت خائفا علي، أم إنك مللت ولا تعرف كيف تقابل حبيبة القلب، فاخترعت أي حجة لتبعدي عن هنا؟

قطب جبينه بشدة وحدها بنظرات نارية بعينه ذات الحواجب الصقرية قائلا:

- أتفهمين ما تقولينه! أسمعني نفسك؟

- نعم أفهم جيدا وهذا هو التفسير الوحيد، وكل تلك القصة عن الذين يطاردون أبي لم أقتنع بها..

نهض من فراشه بسرعة وأمسك ذراعها بقوة صائحا:

- اصمتي، اصمتي، والدك عندك اسأليه إذا لم تصدقيني.

تركها بحدة واستدار عنها فقالت بعصبية لم تتمكن من السيطرة عليها:

- لا أصدقك، سئمت محاولاتي لتصديق كذباتك الواهية التي..

التفت إليها وأمسكها من ذراعها وظهرها وجذبها إليه في عناق طويل تاقت فيه شفته لملمس شفثيها حاولت إبعاده بقوة لمست يدها صدره دقات قلبه كانت سريعة عنيفة ترسل نبضات إلى قلبها عبر أناملها تعيد به دماء الحب والاشتياق من جديد، حاولت إبعاد شفثها والتحرر من قيد حبه الذي قد يملكها مرة أخرى ولكنه كان متشبثا بها بقوة كان مشتاقا إليها بجنون وحتى لو أراد الابتعاد فلم يكن في مقدوره ذلك لا عقله ولا قلبه في كامل وعيه لإصدار أوامر لشفثيه بالابتعاد عن ترياق الحياة الذي ينهل منه أخيرا بعد طول غياب واشتياق.

أخيرا تركها ليلتقط أنفاسه ولكن لم يبتعد ظل محوطا عليها بذراعيه
وتبسم هامسا:

- لا أعرف بعد كيف أحتضنك جيدا خوفا على الطفل.

نظرت له بغضب متحررة من قيوده المادية بينما لاتزال قيود حبه
داخلها تصدر صريرها معلنة وجودها بقوة واقتدار:

- وأنا لا أريدك أن تقترب مني مرة ثانية، وسوف أذهب لبيت أبي غدا
بالصباح.

تبسم فهو يعلم أنه مازال متربعا على عرش قلبها، تأكد أنها مازالت
تحبه كما يحبها، بينما ابتعدت هي معنفة نفسها على لحظة الضعف التي
انتابتها، وبخت نفسها لتجاوبها معه ولشعورها بالاشتياق والحنين إليه،
كانت تعتقد أنها برأت تماما من حبه ولكن اليوم اكتشفت أنها لاتزال
غارقة في نهر عشقه حتى النخاع، لذلك لا بد لها من الابتعاد وفورا.

لم يذق أي منهما طعما للنوم كما حرم على قلبيهما طعم الراحة،

تمت خطبة أمير ونهير في فيلا مذكور الصغيرة بحضور أمها وأخيها
وبعض أقاربهم فوالدهم وافته المنية منذ سنوات، كما حضر بعض
صديقات نهير وعائلة أمير، كانت نهير فاتنة بنظر الجميع ولكن هو
وحده كان يرى كم هي غير مرتاحة ومتكلفة، صمم أن يكون معها هو
وبيسان وهي تشتري فستانها وحاول أن يجعلها تبتاع فستانا طويلا غير
مكشوف أو ضيق وبالفعل نجح في ذلك فابتاعت فستانا طويلا موف
شيفونى، كان جميل عليها جدا ولكن الأصباغ التي احتلت وجهها هي ما
أفسدت جمالها، أبدى اعتراضه على أصباغها فأبدت شراستها بداخل

كلماتها ولكنه كان يتلقاها دائما بسخرية حتى كادت تنفجر غضبا، عندما أعرب عن رغبته بدعوته للعشاء رفضت بشدة بحجة تعبها لكنه أكد عليها أنها مدعوة غدا للغداء معه والاعتراض مرفوض، وبنهاية الليلة كانت جميع الفتيات يحسدنها على ذلك الوسيم رجل الأعمال الذي يعاملها بلطف وحب ظاهر لهم، بينما هي وحدها فقط من تحمل حجر الحزن الثقيل على صدرها دون أن تتمكن من إطلاق شكواها.

كانت بيسان تجلس بغرفتها عندما أتها شهد تجري فرحا تخبرها أن والدها بالأسفل قد أحضر لها ولنادر لعب كثيرة وحلوى من التي يحبونها وجلس معها بالحديقة ولعب معها ورفعها عاليا، كانت الطفلة تحكي بكل براءة وفرحة لم ترها بيسان منذ وفاة أمها، تذكرت نفسها عندما كانت بعمرها تقريبا وأبوا يدللها ويحتضنها وضحكاتهما تحول سواد أحزانهم لقوس قزح جميل تتقاذف ألوانه خلف مرحها وسعادتها لينسيها وفاة أمها، تذكرت أيضا تسرب ليلي لحياتهم كماء رقراق لم يشعروا بها جميعا إلا وهي تسقيهم حبا وحنانا، ولأول مرة تلاحظ أن وضعها يشبه كثيرا وضع ليلي بل يكاد يطابقه، باختلاف أن شهد تحبها كثيرا..

استفاقت من أفكارها على يد شهد الصغيرة وهي تشدها وتطلب منها النزول معها لأسفل لتلعب معها ومع والدها ولتأتي معهم لمدينة الألعاب المائية الكبيرة التي سيأخذهم إليها الآن هي ونادر، تبسمت بيسان وربنت على وجنة شهد قائلة:

- حسنا، انزلي أنت مسرعة لبابا حتى لا يذهب للأكوا بارك بدونك، واذهبي لدادة زوزو لتحضر لك حقيبة بها ملابس السباحة الخاصة بك وبنادر.

جرت الصغيرة مسرعة للأسفل تنفذ ما قالتها بحماس كبير وفرحة عارمة، وتنادي بصوت صغير عال على دادة زوزو، بينما جلست بيسان حائراً، تريد أن تراه ولا تريد في نفس الوقت كم مؤلم أن تحب شخصاً لا يراك، لا يشعر بك، يحتوي عقله من العقد والأحزان الكثير الذي يجعله يلفظك خارج حياته بكل قوة وبرود، ومع ذلك تشعر بقلبها يلين أمامه كعجين صائغ، خاصة عندما علمت من أخيها أن إبراهيم يتيم بل الأحرى أنه لقيط تربى بملجأ وذلك سبب معرفة والدها به فكان يتبرع للملجأ وقابل إبراهيم به وساعده كثيراً من وقتها، أخبرها ذلك فقط عندما علم منها ما حدث منه بعيادته فأقنعها بتلمس العذر له فداليا كانت الإنسان الوحيد الذي وقف بجواره بعد والدهما لذلك فقدته لها كأثار زلزال مدمر أطاح بمدينته كلها، وكم ألمها ذلك فأيقنت أن فرصة قلبها ضعيفة أمام أحزانه، أخرجها من حزنها صوت ليلي تقول:

- بوسي، إبراهيم حضر يريد أن يتحدث معك بخصوص مدرسة شهد، هو متعثر للغاية بسبب الطلبات الكثيرة ويريد أن يأخذ رأيك.

- ألم يكن قدم لها بمدرسة؟

- لا قدم لها بمدرسة نادر، يقول إن هذا اقتراحك، ساعديه حبيبتني من أجل تلك اليتيمة، اعتبريه خيراً سيرد إليك ويفتح لك أبواب خير لن تحلمي بها أبداً.

نظرت لها بيسان مشدوهة، انهمرت عليها الذكرى بقوة، ولأول مرة ترى قدسية ما فعلته ليلي لها ولأخواتها، وتندم بشدة على فهمها الخطأ لها وتخطبها وبعدها عنها، نهضت واحتضنتها بدون مقدمات قائلة:

- هل أخبرتك من قبل أنني أحبك للغاية.

دمعت عينا ليلي وبادلتها الحزن مرتبة على ظهرها متممة:

- نعم حبيبتي، أخبريني بذلك كثيرا عندما كنت صغيرة بعد أن وافقت أخيرا على تواجدي واقتنعتني أنني أحبك جدا.

- أنا آسفة يا ليلي.

أبعدتها قليلا قائلة:

- آسفة على ماذا يا مجنونة، أنتِ ابنتي وحبيبتي، هيا يكفي كل هذا وإبراهيم ذلك المسكين ينتظر بك بالأسفل، وسنكمل كلامنا لاحقا، أشعر أن بك شيئا غريبا وأود أن أجلس معك وأستمع لك.

قبلتها ببيسان في وجنتها ونزلت ترى من يعذب قلبها بحزنه.

عندما نزلت وجدته يأخذ شهد تجلس على قدميه ويضاحكها ويدغدها، لم تره يفعل ذلك منذ وفاة داليا، هل وجدت كلماتها أثرا في نفسه، هل هذا معقول، رسمت على وجهها الضيق وهي تقف أمامه قائلة بجديّة:

- كيف حالك دكتور إبراهيم؟ ليلي أخبرتني أنك تريدني.

تبسم إبراهيم فهو يستحق ذلك على أية حال، أنزل شهد عن قدمه وقال لها أن تذهب لتلعب مع نادر بالألعاب الجديدة التي أحضرها لها اليوم، وبعد أن ابتعدت قال لبيسان:

- أريد أولا أن أعتذر منك، لا أدري كيف غلبتني عصبيتي ومعك أنت بالذات.

نظرات عينيه الخضراء المسلطة على عينيها تكاد تحملها من مكانها لتطير بها بعيدا بعيدا نحو أفق مليء بسحب بيضاء حالمة، مازالت لا تدري ماذا يفعل بها، غضت بصرها وحاولت أن تقول بجديّة:

- حصل خير يا دكتور إبراهيم.

- طالما لاتزالين تقولين دكتور؛ إذن فمازلت غاضبة، أرجوك بيسان لا تجعلي كلماتي الحمقاء تضايقك أبدا، لقد نفذت كل ما اقترحتيه علي، فكل كلامك كان صحيحا، لكن رجائي الوحيد ألا تذكرني اسم داليا قدر المستطاع، فذكرها تؤلمني للغاية، وتؤجج بداخلي نيرانا قد تطالك أنت للأسف، غير ذلك قد تجدني حالي بتحسن إن شاء الله، واليوم سأخذ شهد ونادر وأنت معنا بالطبع لمدينة الملاهي المائية، لقد لاحظت أن شهد فرحت كثيرا عندما أخبرتها، وفرحت أكثر بمزاحي وحديثي معها، كل كلامك كان صحيحا عزيزتي.

اغتصبت شفتاها بالبسمة الحبيسة داخلهما وأظهرتها على وجهها الجميل فلم تتمكن من تصنع الحزن أكثر من ذلك أمام دماثته تلك، فقالت بسعادة:

- لا حرمها الله منك ومن حبك وحنانك أبدا، لكنني أرى أن تجعل نزهة اليوم خاصة بشهد فقط وأنا اتركني للنزهة القادمة.

ابتسم لطيبة قلبها وحنانها وقال:

- حسنا، لكن هذا وعد منك.

ثم استطرد كأنه تذكر شيئا هاما:

- اه تذكرت، عمي مراد هاتف مدرسة نادر بنفسه لذلك وافقوا وقبلوا شهد في هذا التوقيت، ذهبت وأخذت كتبها وورقة بها طلبات غريبة لم أفهم منها شيئا.

ضحكت قائلة:

- لا تقلق، أنا سأحضر لها كل شيء وسوف أرسله معها للمدرسة أول يوم كما سأكون معها ولا بد أن تأتي أنت أيضا.

- أكيد طبعاً، ذكريني فقط وقتها.

ثم أمسك يدها بين يديه بحنان واحتواء قائلاً:

- لا أدري كيف أشكرك على كل ما تفعلينه من أجلي وأنا وشهد، كلمات العالم كله لن تفيكِ حقك، أو تعبر عما يجيش بداخلي.

لم تدري ماذا تفعل لم تعرف كيف تخنفي من أمامه قبل أن ترتمي بين ذراعيه لم تتمكن سوى أن تقول بصوت خافت:

- لا تقل هذا أبداً..

نظر لها بامتنان ثم أقدم على أخطر شيء ممكن أن يفعله لها ولكنه كان تعبير عن امتنانه هو، لثم يدها التي ترتعش بين يديه ترتعش لتخبره برفرفة قلبها بين ضلوعها صارخاً بحبها له مع كل خفقة لجناحه.

ركبت نهير مع أمير في سيارته دون أدنى كلمة، لاحظت أنه ينظر لها من وقت لآخر ولكنها لم تلتفت إليه ولم تفتح فمها ببنت شفة، أخذها أمير لمكان على البحر كان أول مرة تذهب إليه وأعجبها للغاية فرؤية البحر ممتداً أمامهما والهواء المنعش والموسيقى الخلابه الخاصة بالمكان كما الأرائك المريحة جعلتها تجلس بكل أريحية وهدوء قائلة:

- جميل للغاية هذا المكان.

كاد أن يقول لها لأنك به أصبح بهذا الجمال فجأة ولكنه سكت عن الكلام، وتركها تنعم بهدوء يعلم أنها تحتاجه كثيراً، أغمضت عينيها واسترخت وتركت الهواء يعبث بشعرها ويدغدغ بشرتها ونست وجود أمير تماماً حتى إنها لم تشعر بحضور النادل ليأخذ طلباتهم ولا بأمير

وهو يملي عليه ما سيأخذونه للغداء، ظل أمير جالسا بجوارها يتأمل قليلا في ملامحها والتقط لها صورة جميلة أخفاها داخل قلبه وهاتفه، عندما أحضر النادل الطعام أيقظها أمير بهدوء حيث داعب وجنتها بأنامله حتى استفاقت ونظرت له متفاجئة من اقترابه هكذا فاعتدلت وقالت وهي تدعك عينيها ووجهها:

- هل استغرقت بالنوم؟

- نعم، وبعمق.

- آسفة، يبدو أنني كنت مرهقة جدا.

- نعم، أعلم لذلك تركتك تريحين أعصابك حتى يأتي الطعام، أوتعرفي وجهك هكذا جميل جدا بدون أي مساحيق تجميل.

التفتت إليه غير مصدقة فهي لم تضع أي مساحيق تجميل حتى لا تعجبه وليس العكس، كم تحتر فيه كثيرا كم يثير جنونها تماما.

تناولا طعامهما في صمت وبعدها طلبا حلوى خاصة بالمكان رائعة ثم قال أمير بهدوء:

- نهير، ليس هناك داعي طبعا لأخبرك أن أي خروج لك سيكون معي، حتي لو تريدين شراء ملابس سأذهب معك حيثما تشائين، وهذا الكائن اللزج المدعو حسام لا تريئه أو تتحدثي معه مرة أخرى، كما أريد منك أن تحددتي موعد لكتب كتابنا.

- نعم، أجننت! كتب كتاب من؟ لا أفهم تتكلم هكذا بناء على أي أساس، أنا حتى الآن لا أدري لم تقدمت لخطبتي أصلا.

تبسم قائلا وهو يداعب شعرها الثائر:

- ستعرفين مع الوقت.

هبت واقفة:

- أريد أن أعود لبيتي الآن.

صمت قليلا ثم قال بحزم غاضب:

- تمام، تفضلي.

ما إن عادت نهير إلى الفيلا بعد أن أوصلها أمير حتى حدثت حساما وطلبت منه أن يتقابلا الآن لأمر هام بكافيه اعتادا اللقاء به دائما، أذعن لطلبها على غير عادته مؤخرا ولكن حالتها في الهاتف لم تكن تحتل أي نقاش، عندما تقابلا حكّت له باكية أن أمير يريد التعجيل بزواجهما، طلبت منه مباشرة أن يتقدم لخطبتها، رفض بشدة قائلا أنه لا يريد أن يرتبط بها الآن، لم تكن تدري المسكينة أنها حبة خرز خشبية بمسبخته وجاء الدور عليها لتلتهمها أصابعه ثم تلقي بها من علٍ لترطم وتتحطم دون أن يلتفت لها بل يندار على أخرى غيرها دون اكتراث لما حدث لها أو سيحدث لغيرها.

فزعت لرؤية حقيقته القبيحة وعندما نهضت لتبتعد عنه ململة آخر ما تبقى من كرامتها وقلبها الأهوج قائمة وهي تمسح دموعها بعنف:

- وأنا أيضا لا أريدك، ولا أريد أن أراك مرة أخرى.

كادت أن تبتعد لكنه أمسكها من معصمها بقوة ووقف قبالتها قائلا بحدة:

- لست تحت أمرك ياهانم، أنا لم أنل كفايتي منك بعد، ولم أنل مرادي بعد، أريدك أن تتزوجيه وتعودي إليّ عروسا لنبدأ شهر عسلنا نحن،

وإلا كل صورك التي بحوزتي ستكون بيد أخيكي وأمير باشا طبعاً، كما
ستجدينهم بكل المواقع الإباحية.

كانت كلمه صدمة أقل ما يقال على حالة نهير، لكنها استحضرت
شجاعتها ونفضت يدها من يده بعنف وابتعدت تجري، تهرب منه ومن
نفسها الحمقاء التي صدقته وأمنت له.

جلس أمير ونهير في نفس المكان الذي أخذها إليه في المرة الفائتة بناء
على طلبها، فكم تحتاج لمكان هادئ ترتاح به، مر أسبوع على آخر لقاء
لها بحسام وهو لم ينفك يرسل لها رسائل تهديد وتذكير بانتظاره لها،
كانت صامتة حزينة سارحة بأفكارها متلاطمة الأمواج تضرب بقوة
على صخرة قلبها الضعيف، لم يكن مرتاحاً لصمتها ووجومها هذا يوجد
بنظراتها شيء مختلف، قرر أن يعرف ما بها يخشى أن يكون شيئاً
خطيراً، قلبه ليس مستريحاً لوجهها على الإطلاق، قلبه يرتعد من أن
يكون حسام هذا تحدث معها أو لعب بعقلها، حاول أن يتماسك وأخذ نفساً
عميقاً ثم سألها:

- نهير، أنت بخير؟

نظرت له نظرة باهتة وتمتمت بخفوت:

- نعم، نعم.

ابتسم قائلاً:

- نعم كيف! أظنني أرى كوارث بعينيك.

تعجبت من يقينه، لا تدري بما ترد أنقذها هاتفها الجوال عندما أطلق نغمه وصول رسائل واتس آب، ارتبكت وفتحته كان حسام يتلاعب بأعصابها ويرسل لها صورها التي لديه وهي بملابس فاضحة ومايوه بيكيني، لم تشعر بحالها سوى وهي تضع يدها على وجنتها وتسيل دموعها بحرقة وخوف رأى أمير حالتها هكذا انتفض من مكانه واقترب منها قائلاً بتلقائية:

- ماذا بك حبيبتي؟! ماذا بالهاتف جعلك هكذا؟

لم تكن تسمعه ولا تشعر به وهو يجلس بجوارها ويأخذ من يدها الهاتف ليرى ما به، أبصر كل شيء صورها وتهديدات حسام التي يرسلها لها باستمرار، انتفخت أوداجه غضباً، غضبه الآن يمكنه من القضاء على مدينه بأكملها، أمسك معصمها بقوة أوجعتها ولكن أنين بكاءها كان أقوى، ركبا السيارة وظل يسير بها بسرعة وعنف كادت تشعرها أن المقود سينكسر تحت يده، أوقف السيارة أخيراً في مكان مهجور بعيد عن العمران يطل على بحر العروس، كان ضوء الجوانب يستريح برقه على صفحة البحر الذي كانت أمواجه تائرة مرحبة بوصول الشتاء.

نزل من السيارة وهو حائر غاضب، لا يدري ماذا يفعل نظر مرة أخرى للصور والكلمات بهاتفها لم يتحمل أكثر وألقى بالهاتف أرضاً فتحطم ولم يكتف بذلك بل ظل يدوس عليه بقدمه وتوجه إلى مهلكته الجالسة ترتعد بالسيارة، وأخرجها منها بعنف ممسكا بذراعيها قائلاً:

- ماذا أفعل بك الآن، أضربك أم أقتلك أم أقول لأخيك وأفضحك أم أتستر عليك وأحميكي من هذا الوغد، ماذا أفعل؟!!

لم تجرؤ على النطق بينت شفة كانت دموعها تمزق نياط قلبه وترجوه أن يحتضنها بينما صورها في خياله تجلدها وتذبحها بلا رحمة، ابتعد

واضعاً يديه في خصره ثم عاد إليها مرة أخرى ممسكاً ذراعها بقوة صائحاً بغضبه اللا محدود:

- أهذا الحيوان لمسك؟ انطقي ردي علي، ماذا تعني تلك الصور الحقيرة؟!

ظلت صامته تشهق من خوفها وبكائها فصرخ بها مرة أخرى:

- أوقفي هذا النحيب وردي علي، انطقي!

قالت من بين شهقاتها:

- بالله، بالله، ما لمسني ولا، ولا حتى كما فعلت أنت بالساحل، دائماً كنا وسط أصدقاء كثير، وكانت أول مرة يقترب مني بهذا الشكل عندما أخذتني من الملهى، وكانت أيضاً أول مرة لي بالشرب، لذلك دخت ولم أشعر بما كان يفعل، وتلك الصور كان هو من صورني بالبحر أو صديقاتي الفتيات، وأرسلنها له، فقط بالله، كنت أظن أنه يحبني.

- لأنك غبية، لو كان يحبك لم يكن ليوافق أن تتصوري هكذا من الأساس، ولا حتى مع صديقاتك، لو كان يحبك لن يرضى أن تشربي وتدوخي ليفعل هو ما يشاء، لو كان يحبك كان سيغار عليك ويعتبرك عرضه وشرفه، ولن يسمح لنفسه بلمسك، ولو فعلها سيتقدم لك فوراً، هذا لو كان يحبك.

ترك ذراعها وابتعد فتحسست مكانه من الألم والذي لم يكن بدرجة ألمها الداخلي من كلماته الصافعة لروحها وعقلها، بينما أحضر هو سجائره من السيارة وأشعل واحدة وظل ينفث دخانها متحركاً ذهاباً وإياباً، وما إن أنهاها حتى أشعل أخرى والتفت إليها قائلاً:

- سأشتري لك هاتفًا آخر وخطًا جديدًا، وليس الآن، أما هذا الحيوان فأريد منك كل ما تعرفينه عنه اسمه وعمله وعنوانه، كل شيء، وأنا سأعرف كيف أتصرف معه.

اقترب منها مستطردًا وهو يشير لها محذرًا بيده:

- وأنت يا نهير أقسم بربي، لو علمت أنك رأيتيه أو تحدثتي معه، أو لمح خيالك حتى هو أو أي رجل آخر فلن يكفيني موتك وقتها.

أومأت برأسها إيجابًا، فتحت باب السيارة وأدخلها بعنف وركب هو الآخر وانطلق عائداً بها إلى فيلتهم الصغيرة، وهو يتوعد لهذا الحسام الذي جرؤ على تهديدها والاقتراب منها، ولام نفسه ألف مرة لأنه لم يوقفه عند حده أكثر من ذلك يوم الملهى الليلي، ولكنه جاء لقدره وسيندم ألف مرة على هذه اللعبة القذرة التي يلعبها على حبيبته ومليكة قلبه.

الفصل الثالث عشر:

أغلقت بشرى باب غرفتها بفيلا والدها خلفها، تنهدت بإرهاق جسدي ونفسي، مرت الآن ثلاثة أشهر وهي هنا بعيدة عنه، لا تراه إلا مرة كل شهر في موعد متابعة طبيب النساء، أصبحت الآن بشهرها التاسع قد تلد بأي وقت أو يحدد لها الطبيب موعدا لولادة قيصرية، نزلت سلاّم الفيلا الداخلية بوهن، أبصرتها ليلى فهبت لمساندتها والشد من أزرها، أوصلتها حتى باب الفيلا، سارت ببطء حتى سيارة أسر الذي ينتظرها للتوجه لعيادة الطبيب، ركبت معه بصمت كالمعتاد، أصبحت مشاعرها مذبذبة أكثر من ذي قبل، فبعد آخر مرة كانا فيها سويا بمنزلها وهي تخشى الاقتراب منه وتتمناه، بل إنها تزداد حنقا لعدم محاولته التحدث معها أو مصالحتها أو إعادتها لبيتهما مرة أخرى والتحجج بهؤلاء الذين يطاردون والدها الذي أكد لها صحة كلام أسر، ومع ذلك لا تدري ما بها كم تود رؤيته نادما متضرعا لعودتها ومسامحته ورؤية الصدق بعينيه قد ترفض وقتها العودة لكن فقط تشعر بأنه فعل كل ما بوسعه، وأنه يريد كما تريده، وصلا أخيرا لعيادة الطبيب، سارعت بفتح الباب والنزول منه فلا تريد اقترابه ولا ملامسته، لكن فجأة سمعت صوتا مكتوما وألم رهيب يفتك بها وأسرها صارخا باسمها يلحقها قبل أن تسقط.

اقترب أسر من سريرها في الرعاية الفائقة وقلبه يرجف لهعا، شكلها وهي نائمة هكذا واهنة ضعيفة يمزق روحه بلا رحمة، اتكأ على فراشها مقربا وجهه منها قائلا بحزن شديد:

- ابننا بخير حبيبتي، ينتظر فقط عودتك لنا سالمة، اشتقت إليك كثيرا يا بشرى حياتي ومنية نفسي، منذ افتراقنا والحنين يرضيني، يلتهم الشوق أطنان صبري يوميا، فلم يترك لي سوى الفتات أحياء به بهجرك بأيامي العجاف، وكم تفت إليك في البعد، وكم التاعت روعي بهجرك، تمزق نياط قلبي كانقطاع أوتار كمان حزين لا يفيد به إصلاحا، شجيرة بانسة أنغامه باحت لقلبك في البعد أن تقترب، وكم صمت آذانك حتى هلكت أوتاره.

كان ذلك حالي حبيبتي عندما انهالت عليّ كلمات رضوى كسوط عذاب، نعم شككت بكل تصرفاتها، ونعم أجبرتها على البوح بكل ما تخفي، لكنني أبدا لم أتوقع أن يكون ما تخفيه هو رغبة أمي السادية المتوحشة بقتلك انتقاما من والدك، لم أصدقها، بل نهرتها وألقيت على مسامعها أقسى العبارات، متوجها من فوري لأمي لأحذرهما من تلك الحية الرقطاء، لم أتصور أبدا أن تكون أمي هي ذلك العازف الذي يشدو بالناي ليخرج الحية من سباتها، وأنها هي نفسها أفعى كبرى عملاقة.

لم تنكر أنتخيلي ذلك، لم تكذب كلمات رضوى، بل اعترفت لي بكل خطتها منذ وضعت سما لوالدك فأكله نادر بالخطأ، حتى ما كانت تنتوي بعد ذلك، لم يكن أمامي سوى حل وحيد، وهو إقصاؤك من كل حياتي لأنك أغلى من حياتي، هان عليّ عذابي بغيابك أمام أمنك وسلامتك، لذلك أجبرت رضوى لتمثل معي مشهد الخيانة الذي جعلك تكرهيني، ولم أتصور أن تتقن أداءها لهذه الدرجة، فكان وجعك وبغضك أعظم، لكنني بذلك ضمنت اقتناع أمي بفراقنا، وطلاقنا حتى لا تأمل في الحصول على أي أموال بموتك، كما أخبرت عمي مراد أنني ما فعلت ذلك إلا لإبعادك عني خوفا عليك من رجال أعمال يتربصون له وأنني علمت ذلك من والد رضوى فهو أيضا له شركاته بالسوق ويعلم أخباره، أعلم أنه لم يصدقني، لكنه على الأقل لم يشك بأمي مطلقا، فرغم كل

شيء تظل أُمي ولن أتمكن أبداً من الزج بها بالسجن بيدي، حتى رأيته
وذلك الخالد الذي كان يتبعك كذلك بنظرات ولهي تقتلني، جازفت بكل
شيء إلا فوز آخر بك، ظل وجودك ببيتنا سرا حتى اكتشفت أن أُمي
أجرت بلطجيا يراقبني وعلمت منه أنك لاتزالين معي، ثرت وقتها
وكدت أجن، ولذلك صممت على عودتك مرة أخرى لفيلا والدك..

- يا أستاذ هذا يكفي، تفضل بالخارج حتى أدخل والداها.

كانت تلك الممرضة، هز أسر رأسه موافقا ثم لثم جبين زوجته وخرج
حزينا لا يدري ماذا عليه أن يفعل، أبصره مراد فقال له بخفوت:

- انتظرنني بالخارج، أريدك.

ودخل هو وليلي لبشري، بينما توجهه أمير له قائلا:

- أُلن تشرح لي ما يحدث بينك وأبي، حتى أجوبتكما بتحقيق الشرطة
تائهة ولن توصلنا لشيء، حقا لا أفهمكما مطلقا.

نظر له خاويا، ما به من هم يكفي لتحريك جبال، تتمم قائلا:

- ستعرف كل شيء بوقته أمير، خطيبتك أتت.

التفت أمير لينظر خلفه فوجدها مقبلة عليهما مهلكة قلبه فتاته الأثيرة
كانت ترتدي بنطلونا واسعا قليلا فوقه معطف طويل أبيض اللون تزينه
بوشاح مزركش بألوان جميلة، كثرت أو شحتها هذه الفترة وخلال هذه
الأشهر الثلاثة المنصرمة كانت ملابسها تتغير وتتسع أكثر فأكثر، كما
كانت نظرات الامتتان والتقدير في عينيها له تزداد كل يوم، فقط تقدير
وامتتان لأنه حماها من غدر حسام..

- كيف أخبار بشري؟ طمئني على حالها.

قاطعت تأمله لها بهذا السؤال فرد:

- بخير الحمد لله، العملية انتهت على خير واستخرجوا الرصاصة التي أخطأت قلبها بسنتيمترات قليلة، العناية الإلهية وحدها من أنقذتها من موت محقق، والآن ننتظر زوال الخطر عنها وإفقتها.

وضعت كفها الرقيق على يده قائلة بحب لا تدري إذا كان يصله أم لا:
- لا تقلق إن شاء الله خير، أنا واثقة أن الله لن يضرك أبدا في أحد أحبائك.

نظر لها وخفق قلبه يرتفع محتضنا كفها الرقيق بين يده وسارا لأسر ومراد وليلى، وقفا جميعا لفترة ثم انسحب أسر ومراد سويا بدون أي كلام.

أقلت رضوى بالهاتف بعد أن أغلقه أسر بوجهها عقب أن أخبرها بما حدث لبشرى، تمننت لو تستطيع الضغط بقدمها على كل ما يوجب مضجعتها، احتقن وجهها بدماء الغيرة والغضب، اشتعل عقلها بنيران الذكريات يوم انفردت بها ناهد والدة أسر في إحدى الزيارات العائلية التي كانت رضوى عضوا أساسيا بها، عرفت ناهد بذكائها ونظراتها الحادة المتفحصة بكل من حولها أنها تحب أسر، فُضحت نظراتها وتعرت دواخلها، حاولت الإنكار بشدة لكن كلمات ناهد عن أمل بوجودها بجواره جعلها تستمع بانتباه، لم تكن ناهد تحب بشرى بل كانت تسعى لثروة والدها انتقاما منه، قالت ذلك باقتضاب ولم تسألها رضوى أكثر، كان يكفيها أن تعرف قدرة ناهد على تحقيق ما تريد سواء بوجودها ومساعدتها أم لا، فكان صمتها موافقة مؤكدة ورغبة دفينه في الاقتراب والمساعدة، كانت في البداية تخبرها بتطورات علاقة بشرى

بأسر، خلافاتهم أو اتفاقهم الدائم وحبهم العميق الذي لا ينضب ماؤه أبداً، كانت غيرتها تنقد كل يوم أكثر من زي قبل.

لم تقف كثيراً أمام نفسها، لم تحاول إيقاظ ضميرها بالتفكير، تجاهلت سؤال عقلها الملح لم تفعل ذلك بصديقتها، بل كانت ترى نفسها تظلم كما ظلمت، كما سُرقت والدها منها وهجرها وكما تركها حبيبها لأجل أخرى، ستفعل هي أيضاً، لم تحاسب نفسها أو تسمح لآخرين بمحاسبتها، فمن حاسب زاهقي روحها.

كانت تحاول إغواء أسر لكنه لم يستجب أبداً، تحاول أن تجعله يكره بشرى ليوافق على تنفيذ خطة أمه لكنه لم ير غيرها وهذا ما جعل قلبها يتفحم أكثر ويحمر لونه بقوة دالا على استعداده التام للاشتعال وإحراق من تريد، الأسوأ أنه فهم تصرفاتها وواجهها بها ظل يضغط عليها حتى ثارت معترفة تبرئ ساحتها وتعترف له بخطة أمه، كان رد فعله لا يصدق ثار كبركان بعد عقود من الخمود، بينما كلمات ناهد الثائرة لها بعد معرفة ابنها بخطتها الاحتياطية من خلف ظهره كانت الأبهع، ابتعدت تماماً وقتها حتى أصرت بشرى على حضورها فيلا الساحل معهم.

تفاجأت بشدة عندما طلب منها أسر أن تتجرد من ثيابها حتى تراهم بشرى بوضع مخزي وكريه، سألته لماذا واثارت واعترضت لا تدري حتى لم كان المفترض أن تنتهز الفرصة لتفترق بينهما، لكن أن يطلب منها ذلك مباشرة! يريد أن تراهما بشرى بأحضان الرذيلة فقط، ليس حبا بها ولا رغبة فيها، حتى عندما أراد أن يبتعد عنها كان لأجلها رغبة بحمايتها من أمه كما قال، وافقت، مع كل كرهها للموقف وافقت بامتعاض وحزن بعد توصل أسر لها أن توافق فتكون بذلك تفعل الشيء

الصحيح مرة واحدة دون أن تفهم حتى كيف يكون أبشع ما قد يحدث لأحد هو أحسنه.

اندفعت بيسان بين أروقة المشفى بعدما علمت خبر إطلاق النار على أختها الحبيبة كان إبراهيم بجوارها ممسكا بيدها محاولا بث الطمأنينة لأوصالها المرعوبة كما تبثه هي كل شيء مؤخرا ودون مقابل، ما إن لاقتهم حتى اندفعت بين ذراعي ليلى تتساءل باكية:

- ماذا حدث ليلى؟ ماذا حدث ولم؟!

ردت ليلى التي لم تجف دموعها بعد وأخبرتها كل ما تدريه باختصار، اطمأنت منها بيسان على صحة الطفل، وانتظروا جميعا عقارب الساعة السامة تزحف ببطئها المميت على القلوب المتعبة.

تتنح إبراهيم فلاحظت ليلى وجوده لأول مرة، وسمعتة يقول بهدوء طبيب متمرس:

- إن شاء الله خير لا تقلقوا، سوف أطمئن على حالتها من الأطباء هنا وأطمئنكم.

وسار مبتعدا بعد أن ألقى نظرة حنان لبيسان، وما إن ابتعد حتى سألته ليلى:

- أين نادر وشهد؟

- تركناهم عند والدة داليا رحمها الله، لديها مربية تعتني بهم.

- أكنت مع إبراهيم عندما هاتفتك؟

- نعم.

صمتت ليلي مبتلعة الكلمات فهذا ليس وقته على أية حال.

جلس مراد وآسر في سيارة الأول خارج المشفى بعيدا عن الأعين والأذان، فما بينهما لا بد أن يدفن بينهما للأبد، أصبح كل شيء مكشوفاً الآن عباءة إخفاء الحقيقة تم نزعها بكل قوة ليعرف مراد أن ناهد قد تكون سبب كل شيء، علم ذلك عندما سأل والد رضوى مباشرة من هم رجال الأعمال الذين حزر آسر منهم فاكتشف جهله، تأكد وقتها أن آسر يخفي الكثير وكان ينوي مواجهته لولا ما حدث لبشرى وعجل بكل شيء، لا يزال يذكر كلمات ناهد وتهديدها له بأن يدفع ثمن نبذه لها غالياً، كما ستسترد كل أموال والدها التي ظنت أنه ووالده استوليا عليها، على الرغم من مرور سنوات على ذلك التهديد واحتضانه لأبنائها علّه يتقي شرها، إلا أنها لم تنس ذلك الحقد ولم تبرأ من الكراهية، لذلك لم يأت بباله غيرها قد يحميه آسر ويحاول حماية بشرى منه، لذلك تحدث لآسر بحزم:

- أهي ناهد؟؟

لم يعد هناك مجال لإخفاء أي شيء إذن، اكتفى بإيماءة من رأسه أن نعم، أغمض مراد عيناه ألماً، لم يكن يتصور أن يصل بها الحال لارتكاب جريمة قتل.

- اطلبها بالهاتف، أخبرها أننا سنكون عندها خلال نصف ساعة.

صمت آسر حائراً لا يدري من يحمي بينهما، ومع ذلك قال بهدوء:

- على ماذا تنتوي؟

- أنتوي شراء حياة عائلتي بالأموال اليس هذا ما تريده ناهد؟! هيا اطلبها.

وبالفعل وصلا إليها خلال نصف الساعة أو أكثر قليلا، ولكن أسر أثر الانتظار في السيارة لن يتمكن من رؤيه والدته في هذا الموقف، فقد فهم من مراد أنه سيعطيها ما تبغيه من أموال حتى تتركه وأسرته وينقي شرها الذي كاد يودي بحياة بشرى وحياة نادر وهو نفسه من قبل، ظل منتظرا في السيارة قرابة الساعة أغمض خلالها عينيه، تذكر كيف أفتع مراد بنبذ فكرة طلاقه هو وبشرى، وكان خبر حملها بطفله هو المنجي، فلم ينل سوى التعنيف على فعلته مع رضوى، لو كان أخبر والدها ببراءته كان سيدين أمه بالمقابل، كما لم يجرؤ على قول الحقيقة لبشرى فضل أن تكرهه على أن تعرف حقيقة نوايا أمه الرقطاء، كان لا بد أن يستمر الوضع هكذا حتى تتم ولادة بشرى لم يكن يدري حتى ماذا سيفعل بعدها، لكنه كان ينوي أن يبعد زوجته الحبيبة عن أعين أمه حتى لو كان ذلك يعني الفراق الحتمي بينهما، حتى لو كان ذلك يعني موته وموتها بيده هو، لكن رؤية ذلك الخالد يحوم حولها، نظراته لها، ابتسامتها الصافية وسط تلال الدمع في وجوده، جعلت قلبه يثور كزيت يغلي، لم يشعر بنفسه إلا وهو يضربه ويأخذها إلى بيتهم مرة أخرى، كاسرا كل الخوف محطما كل القيود.

حتى شعر بمن يراقبه ذلك الرجل الهمجي الذي أرسلته أمه خلفه هو، لهذه الدرجة وصل بها الإصرار لنيل انتقامها، أحاط بها الانتقام كثعبان ضخم يحطم كل ضلوع عقلها فلا يترك لها فكاكا منه سوى بتنفيذ ما تسعى له، لا يدري كيف أنبت الحقد بذوره بداخلها واجتث كل جذور الأمومة، كيف! لذلك وخوفا من شر أمه المتوغل بها كسرطان في آخر مراحلها، أرسل بشرى مرة أخرى لفيلا والدها، ابتعد عنها مرة أخرى بإرادته الحرة، حتى لو كان وجودها ببيتها حول حياتها لبراد امتلا تلجا، إلا أن عيناها كانت تبث الدفء بكل شيء حوله مجرد مرورها

بجواره، عطرها، صوتها، يعيد الحياة والسكينة لقلب انقرضت به النبضات.

نزل مراد أخيرا متجهم الوجه وتحدث من نفسه:

- أنا أسف يا أسر، ناهد ستسافر خارج مصر في أقرب وقت وسأتابع هذا بنفسى، ولن تعود مرة أخرى.

اقتطع كلامه على ذلك لم يقل أكثر ولم يسأل أسر أكثر، فأحيانا تكون عدم معرفة الحقيقة كاملة رحمة بقلوبنا الضعيفة.

قبل ذلك بساعات

دارت ناهد بصالة منزلها كالثعلب الحبيس، نفخت دخان سيجارتها وفركت أصابعها بتوتر شديد، كانت ترتدي ملابسها كاملة وتضع زينتها التي لا تستغني عنها حتى تخفي آثار السنين على وجهها الذي كان فاتنا يوما، لتكون على أهبة الاستعداد عند تلقي خبر موتها، تنتظر الآن مكالمة هاتفية من سيد البلطجي الذي استأجرته، قد تموت بشرى اليوم وفي تلك اللحظات التي تلتوي هي على نارها الآن، تتمنى فقط أن يصيب سيد هدفه بدقة، نبهته بشدة ألا يصيب أسر ابنها، تريد فقط موتها هي تريد أن توجعه وتعذب قلبه على ابنته المدللة، كما وجعها وعذب قلبها من قبل، كما كان السبب بموت أبيها بحسرتة على أمواله وموت زوجها بعده لأنه لم يكن معها أموال لإجراء عملية بقلبه الضعيف المنهك، مات رجلاها وتركها وحيدة بطفلين أكبرهما بالمرحلة الإعدادية، كانت ترى نفسها أجمل بكثير من ذلك العذاب وتلك الوحدة، وما زاد الأمر سوءا وفاة زوجته ثم زواجه بعد وفاتها بعام من تلك الليلى، على الرغم من أنه أهملها هي بكل جمالها ومحاولاتها المستميتة

للتقرب منه وإظهار حبا له، تقرب منها كثيرا حتى تعلقت به وعشقتة ثم فجأة اختفى وابتعد وعندما واجهته وحاولت أعادته بكل الطرق حتى إنها عرضت نفسها عليه رفض بشدة ونهرها وقال كلاما فارغا عن أنه يحترمها كصديقة وابتعد عندما شعر بغير ذلك منها، حاولت مطالبته بأموال والدها المسلوبة بتجارته هو وأبيه من قبله لكنه رفض وأخبرها أن والدها خسرها كلها بمشاريع لم يشاركه فيها هو أو أبيه ورفض نصائحهم بعدم الدخول بها، نعتته بالكاذب الحقير المخادع، وليداري فعلته ويريح ضميره احتضن أسر وريم طفلاها وتكفل بكل مصاريفهم الدراسية، مما جعلها تكرهه أكثر وأكثر.

انطلق رنين هاتفها، إنه هو سيد، أخبرها بكلمتين أنه أنهى كل شيء وأبصر أسر ينطلق بها إلى المشفى، أما هو فسيختفي الآن وعليها أن ترسل له باقي مستحقاته على أحد وسائل التوصيل الفورية، أغلقت الخط معه وهي حائرة هل تتصل بأسر لتواسيه أم تنتظر اتصاله هو، ولكنه لن يتصل بها بعد كل تلك المشاحنات بينهما.

أشعلت سيجارتها الألف، ستنتظر، عليها ذلك، وكأنها لا تعلم شيئا حتى يأتيها الخبر، فقط ما تخشاه ردة فعل ابنها العاشق الأهوج بحب تلك المدللة، لكنه في النهاية لن يسجن أمه تعرفه وتعرف أخلاقه وقلبه ومثاليته، أكثر ما سيفعله أن يلقي لها بأموالها التي تريد ويبتعد عنها، لكن مع الوقت سيعود مرة أخرى، فما أسرع نسيان العقول وغدرها لنفس القلوب التي تمدها بالحياة، كما أنها متأكدة من حمايته لها حتى لا يكتشف مراد أي شيء.

بعد سويغات أتاها اتصال هاتف من أسر يخبرها بقدمه هو ومراد إليها، لا تدري لما ارتعدت أوصالها بهذا الشكل، لماذا يأتي إليها بمراد، ماذا حدث لا تعلمه، توجهت لغرفة نومها التي توجد بنهاية طرقة طويلة

بمنزلها الفخم، تعرف كيف تحمي نفسها إذا كان مراد يظنها لقمة سائغة، أو يتصور أنها قد تخشاه، تمسكت جيدا بالجسم المعدني الأسود الذي أخرجته من درج الكومود بجانب سريرها، تأكدت من امتلائه بالرصاصات وأخفته أسفل وسادة من الكثر الذين يحتلون أريكة صالونها، كانت تلتهم سجائرها كما تلتهمها نيران الانتظار، انتفضت عند سماعها جرس منزلها، أطلقت زفرة مرتعدة، أطفأت سيجارتها وعدلت من ملابسها ثم توجهت لتفتح الباب.

أطلت عليها عيناه لم تشعر سوى بهما بنيتين حادثين يحتلها الغضب ينطقان بالمقت، ابتعدت للخلف، هيبته ليس لها حدود، أتاها صوته صارما بكلمة واحدة:

- لماذا؟

تشبثت قدمها بالأرض لم تعد تشعر بأوصالها ويغمرها عرق الخوف على الرغم من برودة الشتاء، لماذا تشعر الآن بحرارة صيف أغسطس، عندما طال صمتها وجدت أصابعه تنغرس بذراعها مكررا سؤاله بحدة أكبر:

- لماذا يا ناهد كل هذا الحقد والأذى، أبدا لم أفكر بأذيتك، لماذا تريدين إلحاق الأذى بأعز الناس إلي؟ انطقي لماذا؟!!

لا تدري بما تجاوبه هل تخبره الحقيقة، تطلعه على كرهها له ولنبدّه، تخبره أن المرأة لا تنسى أبدا رجلا أحبته ونهرها أو أهملها مبتعدا دون أي تبرير أو تفسير أو حتى اعتذار، كانت دقائق قلبها اليومية كعمول يضرب بتربتها فيزيد فسادها فسادا ويحيل حرثها سموما تطول كل من حولها، استفاقت من صمتها الثلجي من الخارج ناري من الداخل على صفة مدوية أطاحت بها وألقته أرضا صرخت ناعته إياه بالحيوان

الهمجي لكنه لم يهتم أبدا يريد أن يعرف الحقيقة مفصلة ثم يلقي بها بعيدا عنه وعن عائلته، جذبها بعنف وأجلسها على أقرب مقعد والذي اهتز معترضا على ذلك الحمل غير المرحب به، أمرها بقول كل الحقيقة كاملة منذ البداية، هذه المرة لم يتمكن منها الصمت بل انطلقت صارخة:

- أنت مجنون!
- انظقي يا ناهد، بدلا من أن أدفئك هنا مكانك، وتعرفين جيدا أنني استطيع فعلها.
- كان رعبها منه يفوق أي شيء، نسيت حتى المسدس الذي أخفته أسفل وسادة المقعد الذي تجلس عليه تحديدا، صرخت دون أن تدري بكل شيء، خوفها سلبها كل قوة وتعقل، صرخت وبؤبؤ عينيها يتسع مطلقا نظرات نارية أسرت قشعريرة بجسده:
- نعم، أنا من فعلت كل ذلك، أنا وضعت المبيد الحشري بطبقك بعيد الميلاد، ليست صعبة رششته من علبته بعلبة دواء صغيرة فتحول لسائل ووضعت منه بطبقك، لكن ابن ليلي هو الذي أكله، كنت أكيدة من نهايتك يومها، لذلك أمرت أسر بجعل بشرى تكتب له توكيل بكل رصيدها بالبنك، لكنه بغبائه وحبه لها رفض وابنتك المدللة سمعت كل حديثنا يومها.
- بشرى!!!

أكملت وكأنها لم تسمع تعجبه كانت بحالة أخرى أوصلتها لها صفعته:

- بعد ذلك أحاطت بكم الحراسة من كل صوب، وأبعدني أسر عنكم تماما، لم يكن أمامي سوى رضوى التي كنت أعلم أنها تهيم عشقا بابني وتغار من ابنتك، وكنت منذ فترة أقنعتها أن توافيني بأخباره مع بشرى باستمرار، وكنت سأعتمد عليها للخلاص من بشرى لأن موتك أصبح بدون فائدة طالما أسر

رفض مساعدتي، لكن رضوى بغائها انهارت وأخبرت أسر بكل شيء، أقبل إلي كالمجنون وكسر بالبيت ما طالته يده، لم يمنعه عني سوى أنني أمه.

قالتها بسخرية كأن ذلك شعور ساذج ما كان لابد أن يمنعه عن قتلها أو تسليمها للشرطة، أردفت بنفس الجنون وجسدها كله ينتفض وتحرك ذراعا بالهواء وهي تشرح كل شيء:

- أقسم لي أنه سيطلق بشرى كي لا يحق له أي شيء ويبعدني تماما، ومثل تلك التمثيلية الخائبة أنه يخونها مع رضوى، ليؤكد لي أن بشرى ستتركه ولن تعود إليه أبدا، لا أدري ماذا حدث بعد ذلك جعلها تعود معه لبيتها مرة أخرى، لكنني علمت متأخرا جدا من سيد البلطجي الذي جعلته يراقب أسر لأنني كنت واثقة من حبه لها وعودته لها بيوم ما، وسيد هذا هو من أصابك كان لابد من تلك الخطوة حتى أبعد أي شك عني وعن نيتي بالخلاص من بشرى وأشتت أسر، ثم اكتشف أسر مراقبة سيد له فأعادها إليك مرة أخرى، يومها عرفت بحملها، فقررت الانتظار حتى تقارب ولادتها فلا يتضرر الطفل الذي سيرثها بالطبع، وبالفعل تم ذلك منذ سويغات، وأظنها الآن تصارع الموت فكم تمنيت أن أرى حرق قلبك تلك طوال تلك السنوات، كما أحرقت قلبي وكويته بيد باردة.

ارتجفت أطرافه حتى لم تعد قادرة على حمله سقط جسده مستندا على طرف مائدة الصالون الرخامية، حتى بعد كل سنوات عمره بالتجارة والسوق وحروب رجال الأعمال لم ير أكثر منها حقدا وشرا وجنونا، وكان أصابه البرق فأحرق فروعه وزلزل جذوره كلها، يكاد يشعر برائحة احتراق روحه منبعثة من ثناياه، حاول استيعاب ما قالت منذ

قليل لكنه يفوق استيعاب أي بشر، لم يشعر يوماً أنه يحبها بل بالعكس كلما حاول أن يتعاطف معها يجد نفسه متوغلاً أكثر في وحل غرورها وأنانيتها، ومساعدته لأسر وريم لم يكن سوى جزء منه فهو يساعد الكثيرين، فقد ساعد إبراهيم أكثر منهم بكثير لكن من مثلها لا يفهم ذلك أبداً، ليس لديه حل آخر سوى ما ينتوي، نظرات كرهه لها جعلتها ترتعد كثعبان يرى نهايته في عيون صقرية تعلق إليه.

وافقت فوراً على أوامره لها بالرحيل خارج مصر، سيهتم هو بكل المعاملات المادية والحكومية ليتخلص منها بأسرع وقت، لم تستح بل ساومته على المبلغ الذي عرضه عليها حتى نالت مبتغاها، فتركها ورحل ناهياً حداً لشرها وغدرها، أمراً رجال حراسته بمراقبة كل تحركاتها حتى ترحل بعيداً، كارها يوم أدخلها حياته، كارها اضطرابه ألا يسلمها للشرطة، فلأسف أسر وريم لا يستحقان ذلك.

عادا إلى المشفى ولكن كان لا بد أن يغادروا جميعهم ويعودوا في الصباح لبشرى والطفل لكن أسر رفض وحاول البقاء معهم، بينما قوانين المشفى تمنع ذلك، فغادر الجميع على ميعاد بالعودة غدا صباحاً لمعرفة تطور حالة بشرى بعد انقضاء الأربع وعشرين ساعة.

أسر لم يتمكن من الرحيل ظل جالسا داخل سيارته ينظر لغرفتها لم يقوَ حتى على إدارة مقود السيارة، حاول ذلك لكن لم يتمكن، فظل بها حتى غالبه النعاس، وبعد فترة استيقظ فجأة على صوت هاتفه رد سريعاً وهو بين الحلم واليقظة، فسمع من يخبره أن حالة بشرى ساءت وسوف تدخل غرفة العمليات مرة أخرى.

أغلق هاتفه كما السيارة واندفع إلى الداخل ودقات قلبه مطارق ضخمة على صدره لا يستطيع تحملها، صار داخل المشفى وتحدث مع الطبيب الذي أمره بالانتظار فربما تحتاج نقل دم أيضا فقد نزفت الكثير، وبالفعل بعد نصف ساعة جاءته الممرضة مطالبة بنقل دم من نفس فصيلة دم بشرى، فطلب منها أسر أن تحلل له، لم تكن فصيلتهما متشابهة ولكن فصيلة أسر تمكنه من نقل دم لأي فصيلة، وبالفعل تم ذلك وبعدها هاتف أمير يخبره بما حدث، فأخبره أن فصيلته هو الآخر مثل أخته وأنه سيأتي مسرعا عليهم يحتاجون المزيد.

- ما الأخبار أسر؟

- لا أدري، استغرقوا وقت كثير بعد أن نقلت لها دما، لا يريحني أحد، أخشى عليها للغاية، لن أسامح نفسي أبدا، لن أتمكن من العيش دونها.

غارت الدموع مكتسحة وجنتيه مسحها مسرعا واحتضنه أمير مواسيا إياه ونفسه.

بعد ساعة أخرى من التوتر والانتظار القاتل، خرج الطبيب يخبرهم بانتهاء العملية واستقرار حالة بشرى وتمكنهم من وقف النزيف أخيرا، حمدا ربهما واحتضنا بعضهما البعض، كان ضوء النهار بدأ يتسلل عتمة الليلة البغيضة المرهقة فخرجا ليأكلا شيئا على أن يعودا بعد النصف ساعه لرؤيتها ورؤية الطفل أيضا.

بعد الاطمئنان على بشرى وطفلها غادر أمير المشفى كان الضغط العصبي الذي تعرض له في الفترة الأخيرة مرهق للغاية، ذهب إلى المكان الذي أعجبها من قبل ليجلس به أمام البحر ويتذكرها، لم يكن يستطيع محادثتها ليرتمي بين ذراعيها عله يستريح أو يرى ابتسامتها

فتسقط عنه هموم الدنيا كلها، مازال يشعر بغربته في عينيها لم يشعر بحبها بعد، وصل المكان وجلس على أقرب مائدة من البحر، أغمض عينيه مرتاحا على المقعد الوثير الذي يميز المكان، لم يدر كم مر من الوقت لكن عندما فتح عينيه وجدها أمامه عيناها الواسعتان بأهدابهما الكثيفة تطل عليه كما كانت بأحلامه منذ قليل شفتاها تتحدثان بكلام غير مفهوم هل لازال يحلم؟ ابتسمت له هامسة:

- استيقظ يا بشمهندس.

عيناه الحمراء البنديقية تنظر إليها بغير وعي فلامست يدها يده قائلة مرة أخرى:

- ما الذي أتى بك لهذا؟ لم لم تعد للفيلا تنام وترتاح، الإرهاق باد عليك للغاية.

تاكد أنها هنا كيف علمت بمكانه ولماذا أتت من الأصل لا يدري، تقافز السؤال إلى شفتيه بعفوية من لم يصحو عقله بعد:

- كيف حضرت أمامي؟

تبسمت:

- أرحل؟!!

- لا، لأقصد، لكن..

- آتي هنا كثير منذ أن أتينا أول مرة، أرتاح هنا كثيرا، وقد أصبحوا كلهم أصدقائي هنا فتقريبا أنا من أجعلهم يفتحون أبوابهم نهارا.

تبسم لمرحها، لو تعلم كم كان بحاجة لتواجدها بجواره، لو تعلم كم يحبها:

- احكي لي أخبارك، فقد كنت مشغول عنك الفترة السابقة، اعدريني.

- لا، لا تقل هذا أنا أتفهم الظروف، لكنني فقط..

واقطعت كلامها كما عاقبت أسنانها شفتيها بقضمهما لتفوها بما قد يخلجها أمامه فكادت تقول لأنها اشتاقت إليه، بينما قال هو:

- لكنك ماذا؟ هل حدث لك مكروه؟

- لا لا أبدا اطمئن.

خوفه عليها وشفقته فقط ما يحركه تجاهها، كم يؤلمها ذلك على الرغم من أنه لم يفتح معها موضوع حسام مرة أخرى إلا أنها تراه دائما بينها، ترى الخوف في عينيه التي باتت تعرف لغتها جيدا وتكشف ما يريد أن يقول من خلالها، تخشى وقت أن يأتي إليها بدبلته ويقول لقد أتممت مهمتي وحميتك من نفسك وسأغادر تخشى هذا اليوم للغاية.

دائما يتواجد بحياتنا الحب الأول البريء المندفع المليء بالمشاعر المتدفقة الرقراقة، لكنه في الغالب لا يكتمل فيتبعه حب أعمق وأنضج، أعمق حتى في جرحه، أنضج حتى في أوجاعه.

فهو الحب الذي لا ينسى، فكل قصة حب تمر بها المرأة لا تنساها أبدا، لكن هو واحد فقط الذي يحول القلب إلى راهب وقديس لا يدنس من بعده أحد.

لم تعد نهير كما كانت من قبل تغيرت كثيرا في الأونة الأخيرة، بعدما فعله أمير ووقوفه بجوارها ومنعه حسام من الاقتراب منها أو حتى النظر في اتجاهها عندما تمر بجواره صدفة في النادي، لم يخبرها أبدا

ماذا فعل سألته أكثر من مرة ولكنه كان مصمما ألا يخبرها وأكد عليها أن تنسى هذا الموضوع كليا، لكن هل نسي هو..؟

هل نسي طيشها وأفعالها المستهترة كلها؟ هل صدق أنها تغيرت تماما عن تلك التي عرفها منذ شهور؟ هل يرى تلك اللهفة في عينيها؟ هل يسمع ذلك الخواء بقلبها يقرع كطبول الحرب يطالبه بالاقتراب ليدق أسهمه بقلبها ويعلن انتصاره واحتلاله هذا القلب وحده ويرفع فيه علمه هو؟ أم ينتظر منها الاقتراب وإعلان استسلام بلاد قلبها؟ لم تكن تدري أنه هو من تركها تحتل قلبه بعينيها ولكنه ينوي تعذيب قلبه لتركها فريسة لمن خدعها دون أن يحميها أكثر، كما أنه ينوي دون أن يدري حتى أن يعذبها لاستسلامها وطيشها غير المبرر، ولعدم رؤيتها هائمة به حبا حتى الآن.

كانت علاقتهما تسير على وتيرة واحدة، خاصة بعد استقرار حالة بشرى وانتظار تحسنها الطبيء، كانت تراه كل يوم بعينها فقط لكنه كان يحجب قلبه بطريقة أو بأخرى لا تدري كيف تسير أغواره.

اليوم تحديدا كان سيتناول الغداء معها وعائلتها، وصل في موعده كعادته دوما، لكن كان الإرهاق يأكل من ملامحه الكثير فكل أعمال الشركة والمصنع تقع على عاتقه، فوالده منشغل بأعمال يجهلها وآسر لا يغادر المشفى متنقلا بين بشرى وابنه تتبعه ليلى وبيسان، لذلك قالت بحنان أم تخشى على طفلها عذابات الإرهاق وهما يجلسان بحديقة فيلنتها:

- أتحب أن تصعد لغرفة خالد ترتاح قليلا؟

فرك عينيه وتمتع قائلا:

- لا نوري، أشكرك حبيبتى.

قالها بعفوية شديدة كأنه معتاد على قولها دائما، تحجرت بمقعدها ناظره إليه، بينما ارتبك هو كطفل ضبطته أمه وهو يعاكس فتاة الجيران أو يشرب سجائر مع رفقاء السوء، كيف تفوه بهذه الكلمات التي دائما يقولها بينه وبين نفسه فقط، هل وهو في هذه الفترة بين نومه وصحيانه أخرج ما في جعبته بكل عفوية وتلقائية دون حتى أن يدري.

دخلوا سويا وتناولوا الغداء جميعا في وجل كل منهم يفكر في حال، قلب خالد وعقله مع من سلبتهما، أمير ونهير كل منهما يفكر في الآخر دون أن يدريا بمكونات قلبيهما.

بعد الغداء خرج أمير ونهير سويا، وهما في السيارة قال:

- إلى أين تودين الذهاب؟

- أي مكان..

كانت تود أن تكمل.. أنه طالما بجوارك سأكون في أسعد حال ولكن أجمها الصمت ولا تدري لم.

- تعرفي..

- ماذا؟

- أنا أتوق للتوجه لشاطئ البحر أجلس أمامه، أنتسم عبيره، وأرى أمواجه الثائرة بعيني، أتأئين معي؟

- نعم، بالطبع.

بسط يده إليها نظرت له غير فاهمة وأعدت النظر إلى يده ثم إليه، فوجدت عينيه تنطقان بشوق حبيس لكن صرخاته خلف القضبان تخبرها بتهدة أناته بلمسة يدها ليده، فلبت نداء شوق عينيه.

ارتعشت يدها الباردة بين أنامله الدافئة، سمعته يقول من بين فقاعة أفكارها المائية المحيطة بها أثناء لمسته:

- يدك باردة للغاية، أعودين لتحضري معطفاً؟

رمشت بعيونها فطاله وجع سهامها، وهي تقول:

- لا، أنا بخير.

وسحبت يدها من بين أنامله ساحبة معها روحه، انطلقا بالسيارة حتى وصلا إلى البحر، ظلا يتمشيان متعانقي الأيدي، كان صمت الأشواق هو رفيقهما الثالث.

بعد فترة تحدثت نهير قائلة:

- أمير، أيمكنني أن أطلب منك طلباً؟

- طبعا أنت تأمري يا نوري.

وغمز لها بعينه فتبسمت بفرحة حاولت كبح قواها قائلة:

- لثاني مرة تقول نوري، جميل جدا وأعجبنى.

- أنت الأجل.

نظرات عينيه القوية ألجمتها كالعادة وجعلت الدماء تندفع إلى وجهها، قالت دون أن تتمكن من إبعاد ناظرها عن بندقيته:

- عيد ميلاد صديقتي يوم الخميس بكافيه جديد، وأنا أريد أن أكون معها.

- من سيكون هناك؟

- كل أصدقائنا.

- لا يا نهير، لن أكون مطمئنا.
- من أجل خاطري أمير، لماذا لن تكون مطمئنا، سأكون مع صديقاتي الفتيات، ساعتان وسأعود.
- ألن تدعو صديقتك الشباب؟
- من المؤكد ستدعوهم، لكنني لم أعد أتحدث مع أي أحد منهم.
- نعم، أعلم، لكن لا يمكنني أن أغامر بوجودك مع هذا اللزج المدعو حسام بمكان واحد.
- أمير لقد مللت للغاية، ولي كثير لم أر صديقاتي أو أخرج سوى معك، ولا أذهب حتى إلى النادي إلا قليل، لقد مللت حقا.
- توقف عن السير والتفت إليها قائلا بغضب:
- مللت! وكيف يمكنني الوثوق ب..
- اتسعت عيناها ذعرا، إذن هذا هو الأمر..
- لماذا سكتت، أكمل، كيف يمكنك الوثوق بي، أنت لم تثق بي حتى الآن، ولن تثق يا أمير، وأنا لن أظل حبيسة المنزل وأنعزل عن كل الناس حتى تكون أنت مطمئنا وتثق بي، أنا كنت متوقعة ذلك، ولا يمكنني إجبارك على الاستمرار مع فتاة لن تثق بها، أعدني للبيت من فضلك.
- ألقت كلامها وابتعدت عنه غاضبة.
- ضرب يده بالهواء كما لو كان يلكم شخص أمامه، كم يود أن يفعل هذا الآن ولكن مع شخصه هو.

الفصل الرابع عشر:

لا تذكر بشرى الكثير مما حدث فهي نفيق وتغيب على نظرات أسر الشغوفة المحبة هل تحلم به، هذا مؤكد طبعاً فهو يقتحم أحلامها دائماً بنظراته وصوته الذي طالما أسرها، كانت أحياناً تضع يدها على بطنها وتردد ابني.. ابني، فيجيبها صوت أسر الحنون.. بخير يا حبيبتى لا تقلقى، ثم تعود مرة أخرى لنومها غير واعية، ولكن اليوم كان مختلفاً شعرت بعقلها واعياً لكل ما حولها لكنها لا تقدر أن تفتح عينيها، سمعت كثيراً من المصطلحات الطبية حول تحسن حالتها وضغطها ومتابعة كل أجهزتها الحيوية، حتى سمعت صوته الحبيب كم شعرت بالفرحة تدب بأوصالها، كم أرادت أن تنهض وترتمي بحضنه القادر وحده على تخفيف هذا الألم الحارق وبثها الأمان ولكن لم تقدر لم تكن تشعر بجسمها ولا تتمكن من تحريكه أو فتح عينيها، أثرت الصمت والهدوء حتى تتمكن من ذلك وينتهي الخدر الذي يغلف جسدها، شعرت بالغرفة تخلو من حولها وأسر يقترب منها أنفاسه كانت عند وجنتها لثمها وظل بجوارها سمعته يقول:

- حبيبتى، الأنر هين والأطباء طمأنونا أن كل مؤشراتك الحيوية مضبوطة وستفيقين قريباً، ابننا..

لم تفهم الكثير مما قال حاولت أن تحفز عقلها أكثر لتفهمه وتسأله ماذا يقصد وسمعته يقول:

- بشرى، حبيبتى، أيتها المريضة، أحضري الطبيب على الفور.

حضرت المريضة والطبيب وسمعته يخبرهم:

- حركت يدها كما أن جفونها تحركت كادت تفتح عينيها.

- لا تقلق يا باشمهندس، كل هذه مؤشرات جيدة جدا تعني اقتراب إفاقتها معافاة وبألف سلامة.

سمعت تنهيدة حارة من أسر، وشعرت به يقبل يدها بحب وشوق، كم تود أن تخبره أنها تشعر به ولكنها لا تستطيع، ستصبر حتى ينتهي كل هذا الخطر والألم وتصبح قادرة على فتح عينيها وشفقتها لإخباره أنها تحبه فقط.

.....

- أنا خارجة يا لولو.

قالت بيسان جملتها وهي تطبع قبلة على وجنة ليلي التي قالت:

- إلى أين يا بوسي؟

- لشهد هاتفنتي، لديها واجبات للمدرسة لا نفهم كيف تحلها.

- بوسي، هذا الوضع كله لا يعجبني إطلاقا.

- ماذا حدث يا ليلي، ما الذي لا يعجبك؟

- منذ أن عادت شهد لبيت أبيها وأنت كل يوم تذهبين إليهم أو تخرجين معهم، هذا لا يصح أبدا، أنت فتاة ولك سمعتك.

- إنهم يحتاجون إلي، وأنت شجعتيني لأساعدهم وأقف بجوارهم.

- تساعديهم وتفقي بجوارهم، حتى يعبروا محنة وفاة داليا، لكن الآن الحمد لله علاقة شهد بوالدها تحسنت وتذهب لمدرستها كل يوم، وحياتهم بخير، لماذا استمرارك للذهاب إليهم؟ لا تحملي نفسك فوق طاقتها، هو لا يزال يحب زوجته ولا يرى غيرها حتى الآن حبيبتي.

- ليلي أنا..

- استمعي إلي حبيبتي، أنا أريد الصالح لك، وأشعر بك جيدا، ابتعدي عنه قليلا حتى تتأكدي من مشاعرك، إذا كانت حبا أم شفقة، وهو أيضا يعرف إذا كان يمكنه الاستغناء عنك أم لا.

شعرت بيسان بصواب ما تقوله ليلي، سارت واجمة عائدة إلى غرفتها وأرسلت له رسالة نصية تخبره بعدم قدرتها على المجيء، وألقت بنفسها فوق فراشها تبكي وجع غيابه عنها.

مر أسبوع لم يتكلم فيه أمير مع نهير مطلقا، لم يحدثها أو يراها وهي أيضا لم تحاول أن تحدثه، تفاجأت بحالة من الحزن تجتاحها كاجتياح سيول مائية مدمرة مدينة بأكملها تقضي على كل سبل الحياة بداخلها، لم تكن تريد أن تضغط عليه تركته يأخذ وقته في التفكير، كما ستفكر هي أيضا، فهي تخاف بشدة من عدم ثقته بها، لقد تغيرت ولا تريد من داخلها أن تعود لما كانت به من قبل، تريد أن تحتفظ بكل ما فيها له هو منقذها وحبيبها حتى لو كان قراره الابتعاد ستظل محتفظة بنفسها له وهي واثقة كل الثقة أنه سيعود في يوم من الأيام.

وكأنه شعر بروحها تناجيه وتنساب إلى قلبه كعادتها وجد نفسه يطلبها مشتاقا لسماع صوتها، كارها هذا البعد:

- اشتقت إليك.

تفاجأت بكلمته أول مرة تسمعه يقولها لم تدر بماذا ترد ولكنه أكمل كأنه لا ينتظر منها رد عالما بمكنوناتها:

- أريد أن ألقاك الآن فورا.

قالت بأنفاس مبهوتة:

- حسنا، أعطني نصف ساعة فقط وأكون جاهزة في انتظارك.

نهضت بسرعة لتتنقي شيئا مميزا من ملابسها ولكن لا يكون ضيقا أو قصيرا لأنه لا يجبها تخرج هكذا، كانت الساعة الثانية ظهرا عندما تكلمنا وفي الثانية والنصف بالضبط وجدته يحدثها أنه ينتظرها بالخارج، أخبرت أمها ونزلت بسرعة وهي ترتدي فستانا زيتيا يغطي ركبتيها وتحته بوط جملي وفوقه جاكيت فرو قصير جملي أيضا ولفت حول رقبتهما وشاحا جميل يحمل خليطا متدرجا من الألوان التي ترتديها وغيرها، تركت شعرها الثائر منسدلا حول وجهها وطارت إليه، ما إن ركبنا السيارة حتى انطلق بها دون أي كلمة فقط ابتسم حين رآها حتى لمعت عيناه وأمسك يدها طوال الطريق حتى وصلا للمكان الذي جلسا به أول مرة سويا، ما إن جلسا حتى قال لها على الفور كأنه كان يحبس ما بداخله طويلا:

- لم أعد أتذوق أي شيء، لم تعد روحي قادرة على امتطاء الملذات، أصبحت زاهدة بكل ما كانت تعشقه، باتت كل متع الحياة ينقصها طعم السكر بغيابك المرير.

اتسعت ابتسامتها من جراء كلمته، لأول مرة يظهر لها حبه ساطعة أشعته تلفحها وترسل الدفء بأوصالها المشتاقة له، كادت أن تقول له وأنا أيضا غيابك عذبي، لكنها وجدته يستطرد بدون انتظار ردها الجلي بعينها:

- لكني مع ذلك بيدي لا بيد عمرو، أقصيك من قلبي.. بكل قسوة أذبح قلبي وقلبك.. دون أن يرف لي جفن أو أندم.. فأسهل علي أن أبتعد بإرادتي حتى لو ظلت روحي عالقة بثيابك برائحة عطرك بأطراف

شعرك.. الابتعاد المرير أسهل كثيرا من انتظاره القاتل.. انتظار رؤيتك.. انتظار سماع صوتك.. انتظار رحيلك عن عالمي محطمة بيدك قلبي.. سائرة على أطلاله بلا عودة.. أحب علي أن أحطمه أنا بيدي وليس بيدك يا مهلكة قلبي.. قد أحتمل مرارة فقدك لكنني أبدا لن أحيا بعد تجرع عذاب رحيلك وكرهك لابتعادك، لن تتحملي غيرتي وعذابي لك، ولن أتحمّل ضيقك باستمرار من خوفي عليك، لن أتحمّل انتظار يوم قد تأتين به وتطلبين البعاد كرها عني وعنك، ولكن لاستحالة التفاهم بيننا.

هاجمتها العبرات بضرارة، عضت على شفيتها حتى تمنعها من شن هجوم على وجنتيها الحمراءتين حنقا وقهرا، ويا ليتها شعرت بألم شفيتها بدلا من ذلك الذي بدأ يغلف قلبها، لماذا أرسل إليها لحظات قليلة من السعادة؟ لماذا لا بد أن يتبعها تناثر روحها مهشمة وكأن القدر يعاقب لحظاتها لاقتناء تلك السعادة في حضوره، حاولت التحدث لا بد أن ترد على جوره الغاشم، سعلت بشدة حتى يخرج صوتها بدون الروح:

- يمكننا المحاولة، قد ننجح ونتفاهم، ولا يجرح أحدنا الآخر.

- حبي لك أعلى من أن أغامر به.

- لن تغامر به لكنك تضحي به بكل بساطة وعند أول خلاف.

- الاستمرار يعني عذابا مضاعفا، لن يحتمل قلبي لحظة شك واحدة بك، جنوني سيحول حياتك لجحيم.

- ومن أدراك إذا لم نجرب.

- أعرف نفسي جيدا، كما أعرفك يا معذبتني.

حاولت معارضته مرة أخرى لكنه لمس شفيتها بأنامل باردة، وداعب وجنتيها كأم سجيبة تفارق صغيرها لينطلق خارج القضبان، فلا تحرّمه

الحرية وتجنني عليه فيكرهها، احتضن يدها بقوة ولثمها مودعا إياها
أمانته، ثم نظر لها قائلاً بصوت متحشرج:

- لا تترددي أبدا في مكالمتي إذا احتجت أي شيء، سأظل دائما حولك
ومعك حاميك.

نهض مبتعدا، ارتدى نظارته الشمسة مطلقا لدموع قاتلة تهرب من
مقلتيه بحرقة، بينما هي كان يحترق صدرها، هل يمكن أن تلتفحها
حرارته أكثر من ذلك، هل يمكن أن ترى قلبها رمادا، هل يمكن حقا أن
يحترق القلب حبا، تريد أن تبتعد، تبتعد عن تلك النيران التي وقودها
صوته والذكريات، انطلقت زفراتها علها تطير معها بعض النيران بعيدا
عن قلبها، ولكن يا للعجب ذلك لا يحدث بل تزداد تأججا واشتعالا،
ياليت بعضها يصله فيشعر بعذاباتها، ولكن لا فلو طالته نيرانها سترداد
هي احتراقا، فهلا يعود ليحببها، هل يمكن حقا أن يحترق القلب حبا؟

وهل من سامع لشكوى قلبها المعذب الذي يريده جوى غائب مبتعد،
يكاد نبضه ينقطع عن ترديد تراتيله العاطلة عن العمل في حداد طويل
الأمد.

منذ فترة طويلة لم يعد يحصياها لم تحدثه ولم ترد حتى على مخابراته
الهاتفية، شهد تسأل عنها باستمرار، وهو لا يدري بمَ يجيبها، أحيانا
يقول إنها مريضة وأحيانا لديها أعمال ولكن اليوم الجمعة إجازة وشهد
لم تسكت عن البكاء والنواح حتى تراها، اضطر أن يحدث مراد نفسه
ليأذن له بإحضار شهد لتراها فرحب به للغاية، وها هو ألبس شهد
الفستان الذي اختارته ومشط لها شعرها كما علمته هي قبل أن تختفي،
وانطلقا بالسيارة لفيلا مراد، كم يدق قلبه بعنف لم يشهده من قبل لأن

عينيه ستقعان عليها بعد قليل، تحفزت كل خلاياه وأصبح كشهد ابنته يغني معها فرحا كأنه سيرى أمه هو الآخر، نعم فشهد أصبحت تعتبرها أمها ولن تسمح لها بالغياب والاندثار كما فعلت داليا هذا ما تفكر فيه طفلة مثلها تخشى أن تكون ارتكبت خطأ ما أبعد بوسى عنها كما تناديها، ولكنه لم يجرؤ على إخبارها أنه من المحتمل أن يكون الخطأ من جانبه هو على الرغم من أنه لا يعلمه أصلا.

ما إن وصلا حتى استقبلتهما بيسان التي احتضنت شهد كثيرا وجلسا معا في الحديقة ومعهما نادر وسمع ابنته وهي تروي لبيسان كل ما حدث لها منذ غابت عنها بينما دخل هو مع ليلي ومراد ليجلسا بالداخل تاركاً قلبه وعقله وعينه أيضا بالحديقة.

بعد قليل تركت بيسان الحديقة لنادر وشهد ليلعبا وأنت لتجلس معهم، لمحت نظرة من ليلي تنهرها ولكنها اصطنعت عدم الفهم فقد لا تأتي فرصة تجلس بجواره وتراه وتتحدث معه ثانية، لم نظراته لها غريبة؟ بها شيء لم تره من قبل حتى لغة جسده التي أصبحت تحفظها عن ظهر قلب مختلفة ومتوترة على غير عادته، بعد أحاديث ودية ضاحكة انسحب مراد لمتابعه أعماله وبعد وقت ليس بقليل أبدا لح في النداء على ليلي بطلباته المعتادة التي لا تنتهي فضحك إبراهيم بعد ابتعاد ليلي قائلا:

- علاقتهم ببعض جميلة للغاية، كأنها السهل الممتنع.

- أوتعرف؟ هذا فعلا أدق تشبيه لعلاقة ليلي بعائلتنا كلها وليس فقط بأبي، أنت بيتنا وبه مراهق وطفلتان أحدهما لا تتقبلها وتغار منها على والدها -كانت تلك أنا بالطبع- كيف تنام هي بجواره مكاني، وكيف تقول لها حبيبتي كما تقول لي، ومفترض مني أيضا أن أكون مطيعة وأسمع كلامها! يااه لقد أتعبتهم وقتها كثيرا.

وأطلقت ضحكة جميلة لم يشعر باشتياقه لها إلا الآن فقط، وقبل أن يسرح أكثر تدارك نفسه قائلاً:

- أي أنك كنت طفلة مشاغبة!؟

- نعم، للغاية، أخذت وقتاً طويلاً حتى أحببت ليلي، وهي أحببتنا جميعاً كما لو كنا أبناءها حقاً، ومحت تماماً صورة زوجة الأب الشريرة ذات الأنياب التي كانت ترعيني.

ضحكا معاً، ثم عاجلها إبراهيم قائلاً قبل أن يتراجع:

- أسمحين لي بسؤال؟

- تفضل يا إبراهيم.

- لماذا لم تردي على اتصالاتي، وتوقفتي عن الحضور ورؤية شهد، والخروج معها، هي كانت تسأل عليك باستمرار، واشتقت إليك كثيراً، كان صعباً للغاية بعد تعلقها وارتباطها بك أن تختفي هكذا، كانت تبكي وتريدك بجوارها، وخافت أن تذهبي بعيداً مثل، مثل داليا.

اغرورقت عيناها بدموع ألجمتها بقوة ثم قالت بهدوء ظاهري:

- أنا أسفة للغاية، لم أتصور أبداً أن يؤثر غيابي بها بهذا الشكل.

- غيابك أثر بنا نحن الاثنين يا بيسان، أنا لن أُلْف وأدور ولا أدري إذا كان كلامي يجانب الصواب أم لا لكن عزائي الوحيد أنك ستفهنيني، على الرغم من صغر سنك، أعلم جيداً أنك مثل كل الفتيات تتمنين خوض قصة حب، لكنك لن تجدي من يحبك ويقدرك ويحترمك مثلي أنا وشهد، أعلم أن ما سأقوله غريب ولن أتعجب إذا استنكرته ورفضتي، أنتزوجين بي بيسان؟ وصدقيني إذا وافقت فسأضع الجنة تحت قدميك،

إكراما لوالدك ولحبك لشهد ابنتي، لا أريد منك أي شيء، حتى لو تريدون أن يظل زواجنا ورقيا فلن أعترض، كل ما يهمني أن تظلي معي أنا وشهد، على الأقل حتى تكبر هي، وإذا أردت حريتك بعد ذلك فلن أمنعها عنك، وأقسم لك بربي أنك حتى لو رفضتي سنظل مكانتك عندي عالية وغالية كما هي تماما.

صدمت بيسان من طلبه للغاية لم تكن تتوقع أبدا أن يطالبها بهكذا طلب، كان ارتبাকে وتعرفه خيرا دليل على صدق ما يقول، هو لم يحبها مازال قلبه مخلصا لزوجته، كم تتمنى أن يتحول كل حبه هذا إليها، عيناه الخضراوتان بهما رجاء كما الاعتداء لا تدري من أي خلايا يتشكل عقله حتى يفكر في هذا الطلب المجنون، كما لا تدري إذا كان ما يحويه رأسها هي عقلا أم إن قلبها انتقل للأعلى حيث تعجبت من نفسها أكثر حين شعرت بفرحة للفكرة وتقبلها بل استعدادها للموافقة على الزواج منه فقط لتبقى بجواره، وقبل أن تفتح شفيتها بأي رد وجدته يقول:

- لكن قبل أن تقولي قرارك لا بد أن أخبرك حكايتي كلها، ودين والدك الذي برقيتي، وأني مهما أكرمتك لن أوفيه حقه.

ثم انطلق يخبرها حكايته كأنه يزيح جبلا جاثما على صدره، لقد كان مشردا بالشوارع، كما يطلق المجتمع على أمثاله أولاد شوارع، طفل في العاشرة من عمره يبيع علب مناديل ورقية أو عقود فل أو جرائد أو حلوى الغزل للأطفال أي شيء يوجد به الرجل الذي كان يعطيه ما يبيع ويأخذ كل المكسب ويترك له الفتات الذي يشتري به ما يسد رمقه بالكاد وينام منهكا مستيقظا في اليوم التالي ليدور بنفس الساقية، رأى الذهول يكاد يتكلم على ملامحها أرادت أن تعلم أين كان ينام فأخبرها أنه الرجل نفسه صاحب البضائع كان يوفر له ولمجموعة أخرى من الفتيان والفتيات مأوى خربة يبيتوا فيه ليلتهم، وفي يوم حار من أيام شهر

رمضان الفضيل سرقت منه بضاعته دون أن يبيع منها شيئا أخذها غلامان يكبران قليلا وضرباه وهربا، تكور على نفسه بجوار سيارة على الأسفلت في نفس المكان الذي ضرب فيه لم يحرك ساكنا سقط مكانه وبكى حظه العثر ومهانتة وتعبه، حتى نام مكانه وفجأة شعر بأصابع تربت على كتفه استيقظ مفزوعا، فوجد رجلا وقورا يبدو عليه الثراء شعر وقتها أنه نظيف للغاية وكأنه خارج للتو من استحمام منعش خاصة مع رائحة عطره النفاذة، اعتدل بسرعة وخوف، فطمأنه الرجل، وطلب منه بحنان أن يجلس في الظل بل وأعطاه كيس حلوى كبير يأكله مع أصدقائه بعد الإفطار، نظر للحلوى التي بالكيس الكبير ولا يعلم لم رفضها، فقد تآقت نفسه لأن يرفض أي شيء بحياته ويكون له حق اختياره حتى لو خطأ كما أنه كان صائما ولم يكن يريد حلوى تفسد صيامه فكان جائعا بما يكفي لالتهامها بما فيها من مشتبهيات لطفل مثله لم يرها من قبل، ولكن والدها أصر على أن يأخذها ويتوجه للجلوس بالظل، نبرته الحانية وعيناه الخائفة على إبراهيم جعلاه يبكي أمامه ويفر هاربا ولكن مراد جرى خلفه وأخذ معه بسيارته، اتسعت عيناها مرة أخرى كيف لا تعرف كل هذا عن والدها، أكمل هو دون أن ينظر إليها فهو يعلم كم ستدهش وظل مشبكا يده فوق ركبتيه ناظرا للأرض، فبعد ذلك تغير كل حاله قص على والدها كل حكايته منذ وعي العالم وهو لقيط بالشوارع حتى وجده اليوم، أخذ لدار أيتام كبيرة ولم يتركه في ذلك اليوم إلا عندما استحم وجلس يأكل معه وقت أذان المغرب وفي اليوم التالي عاد إليه ومعه أكياس كبيرة مليئة بالحلوى والملابس التي تتناسبه، وطلب منه أن يدعو لزوجته وابنته الصغرى فهي لاتزال صغيرة وتحتاج أمها وقد يستجيب الله لدعاء طفل بريء، دعا لها من كل قلبه فرجل مثله لا يستحق أبدا خسارة أحد أحبائه وسأله ما اسم الطفلة فأخبره أن اسمها بيسان، وعندما سأله عن معنى الاسم قال إنه اسم أرض بفلسطين، نظر لها نظرة جانبية فوجد عبراتها تسيل على

وجنتيها الحمراء وتين مشكلة لوحة حزينة رقيقه، أبعده ناظريه عنها مرة أخرى مطلقاً زفرة أودعها كل توتره ورهبة الذكريات.

والدها ظل يتردد عليه كثيراً يطمئن على أحواله وأن الجميع يعامله جيداً ويطمئن على حال كل الأطفال بدار الأيتام فكانوا كلهم يعرفونه ويحبونه كثيراً، ويؤكد له دائماً أنه لو نجح في دراسته وتمكن من ملاحقة الطلاب بمثل عمره ستكون له مكافأة كبيرة، فقد قدم له بمدرسة وأحضر له مدرساً يتابع معه ما فاتته حيث كان يعرف القراءة والكتابة من الجرائد التي يبيعهها، كانت فترة صعبة للغاية، وفجأة انقطعت زيارات مراد عشرة أيام وأكثر لم يظهر حتى أخبرتهم مديرة الدار أن زوجته توفت، حزنوا كثيراً وبيكوا كلهم يوماً من أجله، وبعد شهر عاد إليهم مرة أخرى بخبر كثير أكثر من أي مرة سابقة وطلب أن يدعوا لزوجته بالمغفرة ولأبنائه اليتامى مثلهم، بعد ذلك مرت الأيام وبدأ يتفوق في دراسته وينجح كل سنة أكثر ويذاكر بالصيف حتى يحصل ما فاتته ونجح بكل عام دراسي حتى أنهى دراسته الثانوية بمجموع عالٍ يدخله كلية الطب ولكن كانت قوانين الدار أنه كفتى لابد أن يغادرها، فتى بالثامنة عشر من عمره يترك دار الأيتام مأواه الوحيد ولا يعلم أين يذهب، يوماً لم يعرف ماذا يفعل غير أن يذهب لمراد بشركته رحب به وعرف بالأمر وأجرى اتصالات كثيرة تيقن بعدها استحالة تغيير قانون صارم لا يرحم، ولكن مراد كان أرحم منه بكثير، أجر له شقة ولآخرين مثله وأدخلهم الجامعة ووفر لهم عملاً في فترة الصيف وكان هو يتكفل بباقي مصاريفهم وكان يزورهم بنفسه أو يرسل أمير ابنه أحياناً، حتى تخرج أخيراً وبتفوق وعمل بالمشفى وتمكن من الاستقلال والإنفاق على حاله، حتى قابل داليا وأحبوا بعضهم كثيراً، كانت المشكلة أن أهلها لن يوافقوا على رجل لقيت حتى لو كان طبيباً، ولكن مراد جاء معه وقدمه

لهم على أنه قريب له من ناحية الأم، وقال له إن تلك لا تعتبر كذبة فهو يعتبره بمثابة ابن له، ثم نظر لها أخيرا قائلاً:

- أعلمتي الآن لمَ مهما فعلت لن أوفي دين والدك.

لم تكن تتخيل أبدا حتى في أغرب أحلامها أن تكون تلك هي حياة إبراهيم، أن كل ذلك هو ما يكمن خلف غمامة الحزن التي تحيط بعينيه دائما، وهي التي كانت ترثى لحالها لغياب أمها، حتى عندما من عليها الله بزوجة أب مثل ليلى، حتى دراستها لم تتفوق بها مثله فكان تخرجها من كلية التجارة السنة الماضية أقصى آمالها، كيف قاتل بهذا الشكل وتفوق ضمن كل تلك الظروف المحبطة المحيطة به، كم هو رائع حقا وأعظم مما كانت تتخيل بمرحل.

تشعر الآن أنها تحبه أكثر من ذي قبل، أنها لن تجد من يقابل من أجلها ويحميها ويحنو عليها أكثر منه فقط ستصمد وتصبر حتى يبادلها نفس الحب وأقوى وشوقه لها اليوم يخبرها أن صبرها لن يكون طويلا مريرا كما تتخيل، فقالت له وهي تكفف دموعها جالسة على مقعد أقرب له قائلة:

- وأنا موافقة يا إبراهيم، لكن بشرط، أن يظل زواجنا ورقيا فقط.

ورددت بداخلها بتصميم عجيب.. إلى أن أحول قلبك إليّ وتحبني بنفس قوة حبي لك وقتها سأكون كلي لك للأبد.

- أجننت يا بوسي، كيف توافقين كيف؟

- لا أعرف، لا أعرف، لم أفكر سوى أن أكون بجواره ومعه.

-حتى لو لم يحبك!؟

- نعم، حتى لو لم يكن يحبني بعد، أشعر أنه سيتغير بيوم ما، اليوم شعرت بشيء مختلف يطل من عينيه، شعرت باشتياقه لي، وأنه ما طلب مني الزواج إلا رغبة في عدم ابتعادي.

ضربت ليلي كفيها ببعضهما متعجبة:

-أستوافقين على الزواج منه لمجرد إحساسك بأنه شعر بشيء مختلف، أنت أبدا لم تنساقى خلف مشاعرك بهذا الشكل!

- منذ رأيته وأنا منساقاة خلف مشاعري.

- لا أدري ماذا أقول لك، من المفترض أن أمنعك تماما، لكنني سأتركك تحاولين على الأقل اكتساب قلبه، لكن ليس بالزواج، فقط فترة خطبة حتى ولو كانت طويلة.

أطلقت بيسان زفرة حارة أودعتها كل توترها وخوفها، وقررت ترك كل شيء للأيام ولكنها لن تجلس صامتا ستحاول بكل ما تملك من حب له أن تصل لقلبه، حتما يمتلكها شبح الخوف، شبح حبه لداليا وإخلاصه لها، شبح مقارنتها بها فهي لا تملك رقتها وطيبة قلبها، تجسدت تلك الأشباح أمامها واحتلت روحها تعذبها بلا رحمة، تجردها أي ثقة كانت لديها وتتركها عالقة بغيابات الأيام لا تدري ماذا تخبئ لها.

قبل أسبوعين

كان يوم استفاقة بشرى معافاة أجمل يوم في حياة أسر، عندما اتصلوا به هاتفيا من المشفى ليعلموه بأنها فاقت كليا ترك كل ما بيده وذهب إليها

فورا، وعندما دخل عليها وأبصرته شعرت بانقباضة بقلبها واستعادت كل ما حدث خلال الشهور الماضية وومض بذاكرتها يوم رأته يخونها ومض بضوء أحمر قان ينزف من قلبها مرة أخرى بل وأقسى من قبل تذكرت أنه كان ينتظر أن تلد حتى يتم طلاقهما فهي لن تقبل أن تعيش معه غرباء في بيت واحد، اقترب منها لثم جبينها بشوق:

- حمدالله على سلامتک حبيبتى.

- سلمك الله أسر، أريد أن أرى ابني.

- من عيوني حبيبتى.

اغرورقت عيناها بدموع لاهبة فطالما كان يردد هذه الكلمات على مسامعها عندما تناديه، أشاحت بوجهها بعيدا فمقلتيها ترفضان الانصياع لأوامرها بحبس هذه الدموع القاتلة وهرمونات الأمومة الجديدة عليها تجهز على البقية الباقية من قدرتها على التحمل، لثم أسر رأسها وكف يدها بشوق كما كان يفعل دائما وغادرها دون أي كلمة وبعد فترة وجيزة عاد إليها ومعه ابنهما:

- لم أختار له اسما بعد، فضلت الانتظار حتى نختاره سويا.

حملته بين يديها ترنو بحب ولهفة إلى وجهه الصغير وعينيه المغمضتين وكفيه الصغيرين البضين، سمحت لدموعها أخير بالجريان على وجهها، مسحتها وقبلته، ظلت تنظر إليه ناسية كل ما حولها، ثم قالت فجأة:

- آدم، أتمنى تسميته آدم.

لمعت عينا أسر بشوق وحنين جاف متمتما:

- جميل حبيبتى، إذن هو آدم.

ظلت تحتضن الصغير بين ذراعيها حتى أقبل أهلها جميعا ليطمئنوا عليها ويحملوا الصغير بين يديهم لأول مرة.

تعافت بشرى وخرجت من المشفى، مرت أيام تعافيتها على أسر كليل أذجن لا ينتهي، عادت إلى فيلا أبيها هي وآدم وما إن وصلا حتى طلب أسر أن ينفرد بها ليتحدثا في أمر مهم:

- نعم، أسر..

أخذ أسر نفس عميق، ثم قص عليها كل ما حدث منذ علم من رضوى بمحاولات أمه التخلص من بشرى إذا أصر على موقفه ولم يطاوعها في إرغام بشرى لعمل توكيل رسمي عام له يرغبها أو بدونها، ومواجهته لأمه واعترافها، والفكرة التي أتته كي يبعتها عنه تماما وهي إيهاهما بخيانتها لها مع رضوى والتي كانت تحاول إغواؤه بالفعل، كما أخبرها بأمر غيرته من خالد التي جعلته يعيدها لمنزلها مرة أخرى ضاربا بكل شيء عرض الحائط..

كانت تستمع إليه ذاهلة لا تدري أنفرح لأنه لم يخنها حقا أم لهذه اللعبة الغبية التي كانت هي ضحيتها الوحيدة بعد أن أنهى كلامه وأخبرها حتى لحظة سفر والدته بعيدا بالأموال التي أرادت، لم يسمع سوى صمتها ودموع تنهال على قلبه كالسوط، عندما نهضت أخيرا وتكلمت باكية بصوت يمزق قلبه:

- هل كنت تفتقدني؟ هل كنت تذكرني بأيامك؟ بليلاك العابثة؟ أكنت تتعذب مثلي؟ أكنت تشعر باختلاجات قلبي بين أضلعي؟ أكنت تسمع نداءاته الشجية؟ ستنهار ليلا لغياب صوتي بأحلامك، لاختفاء ملامحي من كتيب قلبك المغرور، لا تحزن، فأنت من ألقيت بي خارج حدود صدرك، خارج حدود مدينتي الحامية، لأسباب أراها كلها واهية، كم

كنت أتمنى أن تحميني ذراعاك، وألا تلقي بحبي للهاوية، سقط حبي لك وتحطم، ولا أدري كيف أجمع أشلاءه، ولن يجمعه حزنك وندمك، ولم تعد دقائق قلبك تفرع بجوار أذني فتهدئ من روع اشتياقي، ولم اعد أنا قطتك المدللة، ثار قلبي وتحرر من أسر حبك، وللأسف أنت السبب، تحرر قلبي ولكني فقدت بعضا من روحي بين أضلعك.

استدارت مبتعدة وقد تحررت عبراتها أخيرا وروحها تردد بجزع:

- وكيف لي باستعادة روحي دون أن أعود لمدينتي.

لكن قبل أن تبتعد لحق بها جاذبا إياها من ذراعها، قائلا وغضب قصاصها من قلبه يذبحه:

- أحقا تحررت.. فلتقسمي إذن بانتهاء تراتيل عشقي بداخلك.. فلتقسمي بتوقف أذان حبي بكل ساعات يومك.. فلتقسمي بإغلاق أبواب قلبك أمام عيني.. نعم مغرور أنا.. وكيف لي ألا أصبح وقد أحببتني بكل ما في من أسلحة تدمر نفسك الهادئة الرقيقة.. تركت بداخلي روحا منك أعيش بها.. تحررت أنت كما تزعمين ولكن مازالت بداخلي نبضة قلب أثم يعشقك بجنون ولكنه كشيطان أخرس كان مضطرا للسكوت عن ذكر حقيقة حبك، لكنه تكلم الآن ويطلب منك السماح.

نفضت ذراعها من يده، وتركته مشدوها صاعدة غرفتها، أغلقت على نفسها وهي منهاره ببيكاء مرير يكوي قلبها الدامي، تضيء بقلبها شمعة حبه وإخلاصه، بينما تجهز عليها نيران الألم الذي طالها كل تلك الفترة، وأكل من قلبها حتى صار مرقعا لا يقبها برد تعاسة روحها وعذابها المرهق الدائم، كيف تسامحه، كيف تنسى، كيف تمحو كل تلك الصور من ذاكرتها فقط لأنها أصبحت غير حقيقية لا يحموها فعملها ليس حاسبا أليا، ولا تدري بعد كيف تصبح كذلك.

بينما ارتمى هو بجسده على المقعد خلفه وهو يراها تبتعد، بعد برهة دخل مراد يربت على كتفه، وكأنه أفاقه من غيبوبة فقال:

- أرأيت عمي، لم تتمكن من مسامحتي، لا أدري ماذا أفعل، لا أدري.

- اترك كل شيء للأيام آسر وإن شاء الله تداوي كل الجراح.

نظر له ملتاع القلب، ما كان يجب أن يفعل، أكان هناك اي تصرف آخر يحميها ولا يجعله يدخل امه السجن بيده، حتى لو كانت تستحق فهي تظل امه، ولا يمكنه ان يفعل بها ذلك، حتى لو كانت بشرى لا تستحق كل هذا الوجع، فمتى كانت الحياة عادلة، فهو ايضا نال كفايته وفاض كوبه من العذاب والشجن، منهار قلبه رهقا، بينما اصبح عقله بحالة قصور ذاتي لا اراديا، كان يظن حبهما تميمة حظه ولكن يبدو أن حظه معها يسوقه للفراق والوداع، كم يتمنى لو لم يحدث كل هذا، و لا يدري هل فعلا سينسيها الوقت ويجعلها تغفر، ام انه سيكون ضده ولن ياتي ابدا بالغفران.



النهاية



جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال أو تدواله الكترونيا نسخا
أو تخزينا دون إذن خطي من الدار